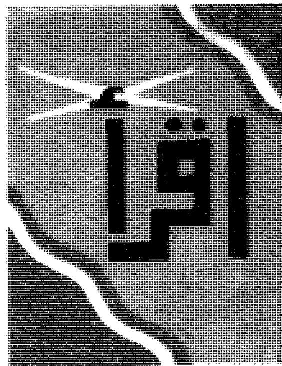


عبد العزيز جادو

الروح والخلود

بين العلم والفلسفة

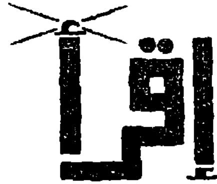
تقديم: الدكتور رءوف عبيد

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمود ديab

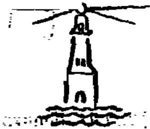
جراح بالمستشفى الملكي المصري

لبنان ١٠٠ ق.ل سوريا ١٠٠ ق.س الأردن ١٠٠ ف.أ
العراق – الكويت ١٠٠ ف.ع الخليج العربي ١٥٠ ف السعودية ٢ ريال
عدن ٢,٥ شلن السودان ١٢٠ مليما ليبيا ١٥ قرشاً
تونس ٢٠٠ مليم الجزائر ٢,٢٥ دينار المغرب ٢,٢٥ درهم



تصدر فى أول كل شهر

رئيس التحرير : عادل الغضبان



دار المعارف بمصر



عبد العزيز جادو

الرّوح والخلود
بين العلم والفلسفة

تقديم : الدكتور رءوف عبيد

اقرأ ٣٢٦
دار المعارف بمصر

إقرأ ٣٢٦ – فبراير سنة ١٩٧٠

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.ع.م.

فهرس

مقدمة

بقلم
الدكتور رءوف عبيد
الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة عين شمس

لاريب أن موضوع الخلود هو أخطر موضوع يتعرض له أى باحث أو مفكر ، وهو موضوع الساعة ، كما هو موضوع كل ساعة . وهو موضوع كل إنسان يريد أن يطمئن على قدره ومصيره ، ويريد أن يتعزى عن فراق أحبابه وذويه . والدراسات العلمية فى موضوعات الخلود والروح لاتزال بحاجة إلى مزيد من العناية فى بلادنا العربية التى كانت مهبط الرسالات السماوية ومشرق الإيمان بالخلود وبالروح ، هذا الإيمان الذى انتشر فى العالم أجمع فأصبح مصدراً لأعمق الفلسفات وأوثقها صلة بالإنسان فى عوامل سعادته أوشقائه ، ودوافع تخلفه أوارتقائه .

وعن هذا الإحساس بخطورة موضوعات الروح والخلود نشأت حركة للبحث العلمى فيها سرعان ماتكشفت عن صحة مبادئ فلسفية . ويمكن تلخيص المبادئ التى تكشفت عنها هذه الحركة الهامة فى سبعة على النحو الآتى :

أولا : الإيمان بالله رب العالمين .

ثانياً : أخوة الإنسان للإنسان .

ثالثاً : صحة الاتصال بالأرواح وجدواه فى تعزيز الإيمان وبث الاطمئنان فى القلوب .

رابعاً : صحة خلود الروح الإنسانية .

خامساً : صحة مسئولية الإنسان الخلقية عن أفعاله .

سادساً : صحة الثواب والعقاب لجميع الأفعال الخيرة والشريرة .

سابعاً : أن باب التقدم الأبدى مفتوح لكل روح إنسانية .

* * *

وهذه الحركة الروحية تقوم على بنيان علمى عقيدى فلسفى فى وقت واحد . وهذا البنيان يخدم المجتمع أيضاً عن طريق البحث فى أخطر الجوانب المتصلة بصحة الإنسان الجسدية والنفسية بالأضواء الجديدة — التى أخذ يلقيها تباعاً على جملة موضوعات هامة كان يهرب منها علم النفس القديم ، أو كان يتعثر فى بحثها كثيراً ، بسبب ارتباطه بنظريات مادية خاطئة عن حقيقة الإنسان . ومن هذه الأضواء الجديدة التى يرجع الفضل فيها إلى بحوث هذا العلم الروحى الحديث — مايلى :

أولا : البحث عن حقيقة الصلة بين العقل والمخ .

ثانياً : البحث عن حقيقة دور الجهاز العصبى من زوايا جديدة لم تكن مطروقة من قبل .

ثالثاً : الوصول إلى أسباب جديدة لبعض الأمراض العضوية ، وبخاصة اختلال بعض الغدد فى أداء وظائفها .

رابعاً : الوصول إلى أسباب جديدة لبعض الأمراض العصبية والنفسية

لم يكن يعترف بها علم النفس التقليدى ؛ ومنها بوجه خاص المس الروحى possession والاستحواذ obsession .

خامساً : الوصول إلى حقائق جديدة عن العقل الباطن وعن بعض ملكاته الخطيرة ، ولذلك أثره البالغ فى تطوير نظريات التحليل النفسى بمفهومها القديم .

سادساً : الوصول إلى حقائق جديدة عن الأحلام ذات صلة وثيقة أيضاً بتطوير نظريات التحليل النفسى ، وتصحيح الكثير من أخطائها .

سابعاً : الوصول إلى حقائق جديدة عن دور الإرادة فى توجيه سلوك الإنسان ، وتحديد مدى مسئوليته الخلقية عن أفعاله .

ثامناً : الكشف عن حقيقة الذات العليا للإنسان Subliminal والتى يعبر عنها أحياناً بالوعى الأسمى Superconscious

تاسعاً : الكشف عن أبعاد جديدة لحواس الإنسان عن طريق دراسة كافة ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception.

عاشراً : الكشف عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة عن طريق دراسة ظواهر تأثير العقل المباشر فى المادة Psycho Kinesis .

* * *

والأهمية القصوى لهذه الموضوعات تبرز خطورة دور العلم الروحى الحديث فى الكشف عن مجاهل الإنسان ، وكيف أنه يقدم أجل الخدمات

للحقائق العلمية ولأ بناء المجتمع . فهو علم لايقل فى خطورة دوره عن أى علم جاد آخر ، بل لعله أخطرها كلها لفرط اتصاله بالتنقيب فى أعماق الإنسان ، بل فى أعماق الظواهر الحيوية بوجه عام .

وذلك بالإضافة إلى أنه علم يقدم أروع الأدلة العلمية عن عظمة الفضيلة وعن ضعة الرذيلة ، وبالتالى يقدم أنفع الخدمات لأبناء المجتمع بإبراز تضامنهم الوثيق فى توفير أسباب السعادة والاطمئنان لهم ، فى ظل أى نظام سياسى أو اقتصادى ، وهذه هى نفس المبادئ التى جاءت بها ولأجلها رسالات السماء فى كل زمان ومكان .

ولحسن الحظ أن اشتراكيتنا العربية روحية أصيلة ، تسلم بصحة رسالات السماء وتقوم على نفس مبادئها ، فلا تعترف بالإلحاد ، ولاتقيم له وزناً ، وتسلم بالخلود وبصحة المسئولية الخلقية للإنسان عن أفعاله . وتكفى أية مراجعة للميثاق لبيان كيف أنه أكد هذه المعانى جملة مرات ، وبكل حزم ووضوح ، وحذا حذوه تقرير الميثاق وهو فى نفس قوته الدستورية .

فنحن الآن فى مسيس الحاجة لكل كتابة تعالج موضوعات هذه الروحية العلمية بأسلوب موضوعى محايد ، على النحو الذى ارتبط به كل باحث جاد فى هذه الموضوعات العميقة الغور ، البعيدة الأطراف التى تكاد لاتنتهى فى عمق أغوارها وبعد أطرفها ، إلا لتبدأ لها أغوار جديدة أكثر عمقاً وأطراف أخرى أكثر بعداً . ومنها ماهو وثيق صلة بتطوير مجتمعنا العربى تطويراً قوياً وصحيحاً فى طريق القيم الروحية اللازمة لكل دفعة قوية من دفعات النهوض والانتصار على عوامل اليأس والتخاذل .

فكم من حكيم شجاع عرف كيف يصنع من اليأس بأساً ، ومن العثار سؤدداً ومجداً ، لمجرد عمق إيمانه بانتصار الفضيلة على الرذيلة ، وسيادة البقاء على الفناء .

* * *

فموضوع البحث فى الروح وفى الخلود ليس موضوع « تحضير أرواح » كما يظن الكثيرون خطأ ، بل إنه موضوع متعدد الجوانب ، مفرط الخطورة ، عميق الأثر ، جدير بأن يلقى المزيد من العناية من باحثينا ومن هيئاتنا العلمية التى تقف منه لغاية الآن موقفاً سلبياً مؤسفاً فى الوقت الذى أصبح فيه الشغل الشاغل لعدد ضخم من المعاهد والهيئات المماثلة فى الخارج ، التى وصلت عن طريق هذا النوع من البحث إلى عدد وافر من الحقائق الهامة عن خبايا الإنسان ، وعن قدره ومصيره ، وعن طبيعته الروحية الحقة . وهى فى نفس الوقت من أوثقها صلة بفروع شتى من العلوم كالنفس والبيولوچيا والفيزياء والأخلاق والفسيولوچيا وغيرها بالإضافة إلى جوانب شتى من الفلسفة والاعتقاد .

ومن هنا تجىء خطورة موضوعات البحث العلمى فى الروح ، وذلك لأن العلم الذى ينأى عن التفكير الفلسفى هو فى حقيقته جهل مستتر برداء العلم ، أو هو على أحسن الفروض علم مفكك ضائع إذا فهمنا الفلسفة على أنها هى التى تقود العقل إلى التفكير المترابط الذى يحسن استخلاص النتائج من مقدماتها . وفى نفس الوقت إن الفلسفة التى تنبو عن الارتباط بحقائق العلم إنما هى من نوع المغالطة التى لا تملك سوى اصطناع الأسباب والذرائع .

ومن رسالة العلم أيضاً أن يوضح بعض جوانب الاعتقاد ، وأن يشرح خوافيها فى حدود مايملك من سبل يقينية للبحث وللتحقيق ، حتى إن الاعتقاد يمكن أن يتطور عن طريق العلم إلى إقرار الحقائق العلمية والاتساق المنظم معها فتصبح هذه الحقائق عمداً أساسية فى بنيان الاعتقاد العلمى التى لاغنى له عنها ، وبذا يتحرر فهم الاعتقاد من كثير من أسباب الغلو ، والخوف ، والترمت ، التى طالما أساءت بجدارة إلى جلال كل اعتقاد أمين .

وهذا الاعتقاد الأمين موجودة عناصره الصحيحة فى كل دين ، فليست المشكلة هى فى العثور على هذه العناصر فيه ، بل فى فهمها على وجهها الصحيح فهماً مترابطاً مع حقائق العلم والفلسفة . وبقدر ماينمو هذا الفهم المترابط فى الصحة وفى الأمانة بقدر ماينمو دور الاعتقاد فى العمق وفى النقاء ، وبقدر ماتخف الحواجز الصناعية بين بنى البشر أو تزول ، مهما انتموا إلى عقائد مختلفة . وذلك لأنهم قبل كل اعتبار آخر أبناء ناموس طبيعى واحد ، كما أنهم أبناء حقائق علمية وفلسفية مشتركة حتى وإن تفاوتت الحال بينهم فى مدى الارتباط الصحيح بهذا الناموس الطبيعى ، أو فى مدى الفهم الصحيح لهذه الحقائق العلمية أو الفلسفية .

* * *

ولذلك فمن المتوقع مستقبلا أن يندمج العلم مع الفلسفة مع الاعتقاد فى بوتقة واحدة ، تصهر فيها حقائق مترابطة تصمد لكل صور النقد الذى لا يرحم عن الإنسان فى قدره ومصيره ، وعن حقيقة الأرض المجهولة التى

منها جاء وإليها يعود . . فلا يصح بعد أن يقال إن أمراً معينا أو آخر يمثل مسألة عقيدية صرف لكنه لايمثل حقيقة علمية مقررة ، أو إنه يمثل حقيقة علمية مقررة لكنه غير مقبول عقيدياً . . لايصح أن يقال مستقبلا شيء من هذا القبيل لأن الحقيقة التي تستحق شرف هذا الوصف الجليل لا ينبغي أبداً أن يتناقض فيها العلم الصحيح مع الاعتقاد الأمين ، وأيهما مع الفلسفة الصادقة ، حتى وإن جاز فحسب أن ينظر إليها كل أسلوب منها من الزاوية التي تعنيه ، ويهمل ما عداها .

وقد بدأت فعلا في نطاق البحث الروحي إرهاصات تقارب ملموس بين العلم والاعتقاد والفلسفة ، من نفس نوع التقارب الذى حدث بين أسلوبي الفلسفة والرياضة في بحوث عدد من كبار الرياضيين في القرن الحالي من أمثال أينشتين وإدنجتون وچيمس چينز وبرتراندراسل وغيرهم. وقد تبين أن ارتباط الرياضة بالفلسفة كان لابد منه للوصول إلى نتائج مترابطة يصح التعويل عليها في شأن أمور كثيرة : منها حقيقة المادة والطاقة ، ومعنى الزمان والمكان ، والحركة والسكون ، والبقاء والفناء . وقد انتهى الأمر بتسليم الاعتقاد بدوره بصحة هذه النتائج التي أصبحت تمثل بنياناً مترابطاً يجمع بين أساليب العلم والفلسفة والاعتقاد جمعاً صحيحاً في عروة وثقى من الترابط المنطقي اللازم في كل علم وفلسفة واعتقاد .

لهذا كله عنيت عناية لم تتوقف ببحوث علم الروح الحديث Psychic Science منذ نيف وعشرين عاماً . ولمست أهميتها القصوى لإنسان هذا العصر

الذى فيه نعيش ، ومدى حاجة القارئ العربى بوجه خاص لمتابعة نتائج هذه البحوث التى أصبحت تفيض بها آلاف من المؤلفات القيمة التى وضعها ثقات من الفلاسفة والعلماء فى جميع البلاد وبكل اللغات ، والتى تفتقر إليها افتقاراً — شبه تام — لغة الناطقين بالضاد ، وفى بلاد تعودت أن تأخذ بأسباب المعرفة الصحيحة أولا بأول . إلا فى هذا الجانب الروحى الذى هو أصل كل حضارة ، والذى يدين فيه العالم أجمع بالكثير لهذه الرقعة منه بالذات الناطقة بالضاد ، والتى كانت مشرقاً منذ القدم لإشعاعات الروح والخلود.

والآن إذ أقدم هذا الكتاب عن « الروح والخلود » للأديب الكبير الأستاذ عبد العزيز جادو أشعر بسعادة بالغة لتقديره لأهمية الموضوع الذى يعالجه ، والذى اجتذب انتباهى طيلة السنوات الماضية . وذلك بالإضافة لتقديرى للفراغ الكبير الذى يسده هذا الإنتاج القيم فى تعريف القارئ تعريفا صحيحاً — وإن كان سريعاً — ببعض جوانب هذا العلم التى تهم ولاشك كل قارئ وقارئة يبحث عن أسباب علمية يستمد منها عناصر صحيحة للعزاء ، وللإطمئنان على حاضره ومستقبله .

ويستمد منها أيضاً بعض عناصر ضرورية للتعرف على أهم قضايا الخلود والعقل والاعتقاد فى ضوء العلم الحديث ، وهى قضايا تمثل بالنسبة للإنسان الناضج كل شىء ذى قيمة فى الحياة . لأن الخلود معناه إحساسه بأنه غير قابل للفناء ، وبالتالى اطمئنانه للحياة ولرحمة الإله ، وللنواميس الطبيعية التى ترعاه رعاية أسمى من كل ما يفهمه منها وما يتمناه . والعقل هو أسمى ما يميزه عن غيره من الكائنات ، وهو وسيلة التطور والارتقاء ،

وهو مستودع كل عواطفه وذكرياته ومواهبه وأحلامه وأفراحه وأتراحه . والاعتقاد هو أسمى مايربط الإنسان بربه وبضميره وبأخيه الإنسان، وذلك عندما يفهم الإنسان الاعتقاد على حقيقته، ويسمو به عن أن يكون مجرد مطية للغرور، أو ذريعة لاختلال موازين الأمور . وهو أيضا الشعلة المقدسة التى تضىء للإنسان جوانب الضمير، كما يضئ الضمير طريق الحق والحياة فى اطمئنان وحبور . .

وتفهم هذه القضايا الجليلة على حقيقتها لايمكن أن يجئ اعتباطاً، ولا نتيجة إحساس غامض بصحة الخلود، وبقدرة العقل، وبجلال الاعتقاد، وهى أبداً مرتبطة بعضها بالبعض الآخر وحقائق العلوم الأخرى بل عن طريق البحث الشاق وحده يمكن الفصل بحكم صحيح فى حقيقة مصير الإنسان، وفى حقيقة دوره فى تخطيط هذا الكون العجيب الذى يترنح به، ويأبى أن يكشف له شيئاً يذكر عن ألغاز مصيره، وعقله، واعتقاده، إلا بعد عناء شديد .

وهذه المحاولة المشروعة للعقل فى التحقيق والاستكشاف هى التى هيمنت على بحوث علم الروح الحديث بوصفه يمثل محض دراسات موضوعية عن أثمن كائن فى هذا الوجود، وهو الإنسان فى أصله ومصيره، فى فكره وشعوره، فى اعتقاده وخلجات ضميره، فى مدى مسئوليته عن سلوكه، فى عوامل قلقه واطمئنانه . . . وبذلك أصبحت هذه الدراسات تقع، أو ينبغى أن تقع، فى الأساس من بنيان «علم الإنسان» Anthropology من أية زاوية نظرت إليه وإليها . . .

ومن هذا الاطمئنان للحياة يستمد العقل الناضج أيضاً اطمئنانه للموت . وهكذا تصبح الحياة – بكل مباهجها المشروعة – غاية صالحة مقصودة لذاتها ، وغاية نامية لاحدود لتطورها وارتقائها ، ويكفى أنها وسيلة للموت ، وبالتالى للعيش فى عالم آخر هو أصل الحياة . وهكذا يتأتى للعقل ألا يخشى انقطاع الحياة ، وألا يرهب كآبة الحياة ، ولا كآبة الموت ! . . وكآبة الحياة قد يتحملها الإنسان قانعاً أو مرغماً ، أما كآبة الموت فهى فوق طاقة الشعور المتعلق بسمو الحياة وبعدالتها ، المتطلع لامتدادها إلى مالانهاية فى السمو وفى العدالة . وكآبة الحياة قد لاتجىء من الألم بقدر ماتجىء من افتقاده أحياناً ، أما كآبه الموت فتجىء من افتقاد الأمل فيه . فبقدر لزوم الألم للحياة حتى تكون سعيدة ، يلزم الأمل للموت حتى لايكون قاسياً كئيباً .

فهل لأمل آخر غير أمل دوام البقاء أن يقلب كآبة الموت إلى خرافة كبرى ؟ . . بل إلى أسطورة بالية قد آن لها أن تمحى من الأذهان ، وذلك بعد أن مجّها المشاعر وكأنها الداء العياء الذى يعصى على كل دواء ؟!

وهل يتأتى لفلسفة أخرى غير فلسفة الخلود أن تقيم هذا التكييف المفعم بالرجاء للحياة فى سيرها نحو التقدم والارتقاء ؟ وفى سير الإنسان نحو بارئه ؛ حتى ليصبح من حق العقل المخلوق أن يسعى إلى العقل الذى أبدعه . . . وهذا هو نهاية مايصح لعقل الإنسان الواهن أن يصبو إليه فى تكييف صلته بالحياة ، وبالله الذى أبدع هذه الروح خافتة كذبالة الضوء توشك أن تطفئها نفخة الفم عندما تصبح الذبالة مع طول الأمد ،

وبعد الصراع الطويل مع الريح والعاصفة ، شمساً تضيء للآخرين ، وتبعث من حولها بإشعاعات الرجاء بل اليقين ، غير عابئة بريح ولا بعاصفة ، لا يخيفها صرير أو أنين . . وذلك عندما تصل الروح إلى مقر وادع أمين ، محدد لها منذ خلق العالمين . . .

* * *

ومما يضاعف من قيمة هذا الكتاب أيضاً الطريقة المشوقة التي تتميز بها كتابات الأديب القدير الأستاذ عبد العزيز جادو . فقد عرفته من قلمه قبل أن أعرفه بشخصه ، وقرأت له في سلسلة اقرأ : « الأحلام والرؤى» « ولكي تكون سعيداً » و« الطريق إلى النجاح » و« نحو حياة مشرقة » .
ولمست في أدبه الرفيع نزعة علمية واضحة ، ورغبة جادة في أن ينفع قارئه عن طريق تناول مشكلاته العويصة بأسلوب علمي مبسط واضح ، يجمع إلى الاطلاع الوفير والفكر الغزير ، القدرة على لمس موضع الداء ، ووصف الدواء في براعة طبيب قدير يحسن التشخيص والعلاج معاً .

وبجانب نزعته العلمية لمست فيه أيضاً نزعة روحية أصيلة تنفي بذاتها مايقال أحياناً من أن علم النفس التقليدي يقف موقف العداء من علم الروح ، فإن هذا الموقف العدائي قد انتهى أمره تماماً لمصلحة علم الروح الحديث .

ولعل من أقوى الأسانيد التي يستند إليها هذا القول هو هذا الأسلوب العلمي من بحاثة نفساني معروف متمكن — كالأستاذ عبد العزيز جادو — عندما اتجه ببحوثه النفسية الظلية اتجاهاً روحياً واضحاً بحيث أمكنه التوفيق بين

علمي النفس والروح توفيقاً رائعاً ، متميزاً أيضاً بقدرته المعهودة على حسن العرض والتحليل بالإضافة إلى غزارة التفكير ، ووضوح التعبير .

هذا إلى أن المؤلف الفاضل يحاول في كتابه هذا أن يوفق بين فلسفة التصوف التي يؤمن بها وينهل من ينبوعها وبين نتائج البحوث الروحية التي تربطه بها أيضاً جملة روابط عملية . فهو يجمع إذاً بين مزايا العلم والعمل ، أو بالأدق بين جوانب اقتناعه الثابت وبين واقع نظرته الثاقبة إلى أباطيل الحياة الدنيا وأوهامها الجوفاء . .

وهذا الجمع صنع منه أديباً متمكناً من أدبه ، وفي نفس الوقت صوفياً مخلصاً لتصوفه ، محلقاً في آفاق الحب الإلهي والفيض السماوي ملتمساً منهما — دائماً — الإرشاد والمعونة في مواجهة متاعب الحياة الدنيا ، وفي محاولة كشف بعض ألغازها التي لا تنتهي ، ولا يمكن أن تنتهي أبداً .

وفي ذلك كله ما يضفي على كتابه هذا قيمة خاصة ، ويجعل نفع القارىء به محققاً وجليلاً ، والله نسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل .

رؤوف عبيد

الفصل الأول

ما هى الروحية ؟

كانت الروحية منذ زمن بعيد وما تزال حتى اليوم من المسائل التى شغلت الأذهان إلى حد كبير. وقد اختلف الناس فى ماهيتها ومجالاتها . . فهناك من يؤيدها ويؤمن بها ، وهناك من ينكرها ويدحضها . . ولعل لهم بعض العذر فى ذلك إذ أن الكتب التى يتداولونها فيما بينهم فى هذا الموضوع والتى لم يحسنوا اختيارها ، لاتعطيهم صورة صادقة لحقائق الروحية ، ولا توصلهم إلى فائدة محسوسة لا من الناحية المعنوية ، ولا من الناحية المادية.

وغالب الناس لايفرقون بين الروحية الحقيقية ، وبين السحر والشعوذة . فثلة من المستنيرين ينكرونها جميعاً ويعدونها من أوهام الشعوب . وأما البسطاء فيتقبلونها قبولاً حسناً ويعتقدون فى صحتها اعتقاداً جازماً من غير تمييز بين صحيحها وزيفها . .

وكانت الروحية فى الأزمان الغابرة وماتزال فى بعض الأوساط حتى الآن وسيلة للدجل والاحتيال . ومايزال هناك من يدجل تحت اسم العلوم الروحية والتنويم المنغنطيسى ومناجاة الأرواح . ويستهوى الناس بأعماله الغريبة لاكتساب المال ونيل المطامع الشخصية . ولكن ، ومع ذلك ، لم يختلف الروحيون فى كل زمان ومكان فى ضرورة سعي الإنسان إلى ترقية

مكنوناته الذاتية ومواهبه الروحية ليبلغ التكامل المنشود ، الذى يوصله إلى المعرفةوالحقيقة والنور .

فالتكامل هو غاية كل النفوس الكبيرة ، التى تصبو للرقى إلى مستوى سام تتعالى فيه عن حضيض الحياة المادية .

وقد توسع نطاق العلوم فتوسعت دائرة المعارف البشرية فصار العلماء يبحثون عن هذا التكامل الذى كان الروحيون أول من نبه الأفكار إليه منذ قرون عديدة وحثوا الناس إلى ضرورة الحصول عليه ، لأن الأبحاث الروحية بدأت تقود أفكار المستنيرين فى العصر الحاضر . وقد علم هؤلاء أن لاوجود فى المظاهر الخارجية إلا للنذر اليسير من عنصر الحياة ، وأن لباب الحياة وحقائقها مستكنة فى بواطنها ، وأن الغايات التى يصبو إليها الإنسان من الحياة المادية تافهة جدا بالنسبة لما يمكنه أن ينالها إذا رقى مواهبه الروحية .

لذلك أصبحت الحركة الروحية الشغل الشاغل لكثير من أعلام الغرب وعظمائه فى البلاد الراقية . فراحوا يعنون كثيراً ، بها و بدرسها و بترقيتها وكانوا بالحق رواداً من أفضل رواد العلوم الذين أثبتوا أصالة فى منطقهم وعمقا فى نظرتهم للأمور . منهم : السيكولوچى الشهير فردريك مايرز (١٨٤٣ — ١٩٠١) ، وسير ألفرد رسل والاس (١٨٢٣ — ١٩١٣) ، وسير وليام باريت (١٨٤٥ — ١٩٢٦) ، ولورد رايلى (١٨٤٢ — ١٩١٩) وسير أوليڤر لودچ (١٨٥٢ — ١٩٤٠) ، والفيلسوف وليام چيمس العالم النفسانى الشهير (١٨٤٢ — ١٩١٠) ، والفيلسوف هنرى برجسون (١٨٥٩ — ١٩٤١) ، والفيلسوف الفلكى كامى فلا ماريون (١٨٤٢ —



صورة وجه روح غير متجسدة ظهر عن طريق الوسيطة آدا إيما دين A. E. Deanne عن كتاب للعلامة الكيميائى واريك عنوانه « تجارب فى الروحيات » من تقديم سير أوليفر لودج مدير جامعة برمنجهام (ص ١٩) .

١٩٢٥) ، والفسيولوجى الشهير شارل ريشيه (١٨٥٠ — ١٩٣٥) ، والعالمسيزار لومبروزو (١٨٣٥ — ١٩٠٩)[١] ، . . . وغيرهم كثير من أصحاب الأسماء البارزة ممن واصلوا بحثهم فى هذا الشأن لعشرات من السنين التى بلغت الثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه ، وجاوزت الخمسين عند أوليفر لودج ، وانتهوا فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية بشأن إمكان الاتصال بأرواح من نسميهم موتى ، وبالتالى الإيمان بخلود الإنسان.

ونحن إذا ماتصدينا للموضوع بالكتابة فيه هنا ، فإنما لندفع الكثير من الآراء المبتسرة والأفكار الفطيرة ، ونزيل الكثير من الحيف والتحامل اللذين يحجبان الحقائق عن الأبصار.

ويهمنى هنا أن نعرف جميعا أن بعض تجارب الروحية يجب أن توضع فى التخطيط مع بعض العلوم الغيبية . أرى أن كثيراً سيزعمون أن بعض هذه التجارب فيها فجاجة ، وغير ناضجة ، وهم محقون بلاشك. وأرى ، من جهة أخرى ، أن كثيراً لايقلون عن هؤلاء عدداً ، سيزعمون أيضاً أن النظرية تغلب عليها الصبغة « الصوفية » وهم أيضاً على حق . ومهمتنا هنا هى أن نفرز ونصنف مايكون فيه نفع وفائدة من كلا الجانبين ونجمع بينهما معاً .

ويهمنى أيضاً وقبل كل شيءأن يدرك كل منا أن الروح هى الجوهر

---

(١) عن كتاب « الإنسان روح لا جسد » للدكتور رؤوف عبيد . جزء أول ص ١٧ و١٨ وهوموسوعة روحية شاملة تقع فىحوالى ألف وثلاثمائة صفحة ، غنية بالوثائق والصور والمستندات القاطعة لكل شك .

الحى الخالد ، فمنها يتفجرينبوع الحياة الصالحة ، ومنها يسطع النور الإلهى الذى ينير ظلمات القلوب ويعقم جراثيم النفوس الضارة . .

وللعلم الروحى دوره الخطير فى تقدير قيمه الإنسان واحترام مشاعره البناءة وعقلة الباحث عن الحقيقة أبداً . . وهو فلسفة تقيم بنياناً موضوعياً متماسكا للمحبة بين البشر من جميع الأجناس والأديان ، أساسه خضوعهم جميعاً لهذا الناموس الواحد المشترك الذى لا يعرف محاباة ولا تمييزاً ، ولا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى (١)

والعلم الروحى ، إلى ذلك ، دعوة قوية للتحلى بمكارم الأخلاق وتعزيز لإيماننا بالله فى عظيم عدله وحكمته ورحمته. وفى هذا المعنى يقول إمامنا المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى :

« . . . فليتعاون الكتّاب على نشره فإن فيه سلوة المحزونين ، وإيقاظ الغافلين ، وتعليم الجاهلين ، واتباع الإيمان باليقين ، ورقى الأخلاق ، وتقليل النفاق ، وضعف الشقاق ، وذهاب الأحقاد والوثوق بحياة جديدة ، فلا يفزع الناس أشد الفزع من الممات ، ويقل بكاء الباكيات ، ويسهل احتمال النكبات ، وأشد الأزمات . علما بأنها طهارة للروح وإنماء للأخلاق ودروع سابغة ، وأجنحة بها نطير إلى العلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »(٢)

ولقد عنى الكثيرون من علماء الغرب بالبحث فى هذا العلم ونشره

(١) عن كتاب « الإنسان روح لا جسد » جزء أول ص ٣٧ .
(٢) عن كتاب « الأرواح » ص ٧ طبعة ١٩٢٠ .

بكل الوسائل عن طريق الكتب والبحوث المتخصصة فى هذا الموضوع. كل ذلك ليلقوا على الغوامض الكونية والأسرار النفسية ضياء تُرى به حقائق الأشياء كما هى . وما برح غالب المشتغلين بالروحية هناك يولون وجوهم لاقتباس نور المعرفة والحكمة الروحية شطر الشرق ، ومازالوا يرددون المثل اللاتينى المشهور : "ex Oriente" Lux أى أن « النور مطلعه الشرق » . .

حقاً ، أليس الشرق هو مهبط الرسالات السماوية التى تهدف إلى النهوض بالروح لا بالمادة ، عن طريق تعزيز عاطفة المؤمن وإيمانه وضميره؟

فما دامت الأنظار متجهة إلينا ، والآمال معقودة علينا ، لكشف تلك الغوامض ، ومعرفة هاتيك الأسرار ، فعلينا أن نجد أيضاً فى البحث عنها ونبذل الجهود اللازمة لترقيتها ، لكى يصل العالم الإنسانى فى القريب إلى مايصبو إليه من التكامل الروحى كما وصل إلى مارغب فيه من التكامل المادى .

وعندئذ تبتدئ سعادة الإنسان الحقيقية ، ويحظى بنعم لا تخطر على البال ، ويحيا حياة طيبة يكتنفها الحب وتعلوها الروعة والجمال . .

الفصل الثانى

نشأة الروحية الحديثة

بدأت الحركة الروحية الحديثة فى نيويورك عام ١٨٤٨، واستمرت فى نموها ومواصلة تقدمها، إلى أن تمكنت من أن تجتذب إليها الكثيرين من المشايعين والمناصرين. وبات الذين يؤيدون الروحية فى الولايات المتحدة الأمريكية يحصون بالملايين.

فى ذلك العام كان مزارع يدعى چون فوكس يقطن قرية هايدزفيل قرب روتشستر بولاية نيويورك، وكان أباً لستة أولاد، إثنتان تسكنان معه وقد كانتا أصغر أفراد العائلة، كبراهما تدعى مرجريت وتبلغ من العمر خمسة عشر عاما، والصغرى تدعى كيت وعمرها اثنا عشر عاماً. وقد لاحظتا فى البيت الذى شغلوه من عهد قريب أصواتاً مزعجة تسمع بالليل. عزوا هذه الأصوات بادئ ذى بدء إلى الفيران والقطط ثم إلى العوارض والألواح المفككة، إلا أنهما لم تلبثا أن تحققتا بأن هذه الأصوات إن هى إلا قرعات واضحة مقصودة. ومرة بعد أن أوتا إلى مضجعهما فى مساء أول مارس سنة ١٨٤٨، وكان والداهما معهما فى الغرفة، اشتدت القرعات أكثر من ذى قبل. فنهض المستر فوكس ليحكم إرتاج النافذة فوجدها محكمة. وفيما هو يهم بالرجوع لاحظت كيت أنه حين هز قفل النافذة

خيل إليها بأن القرعات تجيب ، فالتفتت إلى حيث كان الصوت ولطمت أصبعاً من أصابع يدها بالآخروهتفت « أيها الشيطان ، افعل كما أفعل » .

وأجابت القرعات فى الحال مما أفزع الفتاتين ، بحيث لم يعد بهما رغبة فى مواصلة الحديث مع « هذا الشيطان » إلا أن الأم مضت فى تقوية أواصر الصلة ، وتسلمت منه رسالة تنبئ بأنها موجهة من روح « تشارلس روسما » وتفيد بأنه قتل فى هذا البيت عينه منذ بضعة أعوام . وعين لها الموضع الذى دفن فيه ، وبعد الحفر فى الموضع المعين وجد قسم كبير من هيكل عظمى . وقد دل التحقيق بعد ذلك على أن إنساناً تنطبق عليه هذه الأوصاف زار ذلك البيت ولم يره أحد منذ ذلك الحين .

ولم تلبث مرجريت فوكس أن نشطت قواها الخفية فى اتصالاتها المستمرة بالأرواح . فوجهت إلى الأرواح أسئلة كثيرة وجاءت الأجوبة على الأغلب صحيحة . وهكذا تمكن البعض من العثور على أشياء مفقودة ، والبعض جاء يقصد التحرى ، وتحقق الكثيرون من أن فتاتى فوكس على اتصال فعلى بأرواح الموتى (١) .

ولقد كانت هذه الظواهر من الأمور التى يحوطها الكثير من الحيرة والغموض ، مما دعا الجهات المسئولة أن تهتم بها وتعنى ببحثها ، فشكلت لها ثلاث لجان رسمية متوالية ، كما ساهم فيها عدد من العلماء الباحثين المجربين الذين انتهوا متفرقين ومجتمعين إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة هى أرواح الموتى ممن انتقلوا إلى العالم الآخر .

---

(١) عن كتاب « ما وراء الموت » لكارليل ب . هينز طبعة بيروت ص٥٣ .

لقد كان هناك قدر كبير من البينة العلمية السليمة ؛ وحقيقة قوية صلبة لدعم هذه الدعوى . ولم يكن يبدو حينذاك أن هذه الحقائق شائعة في جميع الأحوال – كما يجب ولا هي مقنعة في كل الحالات .

أعلام في الميدان :

ومن أشهر من بحثوا هذه الظواهر غير المألوفة – في مبدئها – وانتهوا إلى نسبتها إلى الأرواح ، القاضي چون وورث إدموندز الذي كان في وقت ما رئيساً للمحكمة العليا بنيويورك ورئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكي والذي كتب فيها « بيانا إلى الجمهور » في جريدة نيويورك كورير New York Courier في أول أغسطس سنة ١٨٥٣ ذكر فيه أنه بحث الطرقات التي كانت تحدث في هذا المنزل لمدة أربعة شهور مخصصا لها جلستين أسبوعياً مستعيناً بحوالي عشرة من العلماء وبخبير في الكهرباء ، ومبيناً فيه خطورة هذا الكشف الروحي من ناحية أنه « يظهر للإنسان واجبه ومآ له فلا يتركه بعد الآن غامضاً مشكوكا فيه »(١) .

كما قرر في خطاب له إلى جريدة « نيويورك هيرالد » نشرته في عددها الصادر في ٦ أغسطس من سنة ١٨٥٣ : « لقد ذهبت إلى التحري عن هذه الظواهر معتقدا أنها مجرد خداع ، ومنتوياً أن أنشر ذلك على

---

(١) نص هذا البيان في كتاب « عن تاريخ الروحية » للسير آرثر كونان دويل جزء أول ص ١٢٥ – ١٣٢ .

الجمهور . ولكن عندما وصلت ببحوثي إلى نتيجة عكسية ، فإني أشعر بأن عليّ التزاماً قويا بتعريف الناس بهذه النتيجة . وهذا هو السبب الأساسي الذي يدفعني إلى ذلك . وأقول (الأساسي) لأن ثمة اعتباراً آخر أثر فيّ ، وهو الإحساس بالحاجة إلى نشر معرفة بين الآخرين لايمكن إلاّ أن تجعلهم أكثر سعادة وفي حالة أفضل من ذي قبل »[١]

ثم جاء بعده عالم الكيمياء مابس Mapes وكان عضواً بالمجمع العلمي الأمريكي ، وبعد أن اتهم أصدقاءه الباحثين في الروح بأنهم يسيرون حثيثاً إلى الجنون ، بحث بعض الظواهر الوساطية على وسيطة تدعى مسز كوراهاتش ، ثم على وسيطة أخرى تدعى مسز ريشموند وتلقى إجابات علمية صحيحة على أسئلته ، ثم نشر نتيجة بحثه بالتفصيل[٢].

ثم جاء روبرت هير Robert Hare أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا. وبعد طول معارضة لها تحقق منها بنفسه ونشر فيها مؤلفاً عنوانه « تحقيق تجريبي لظواهر الروح »[٣] (وقد قرر في مؤلفه هذا (ص ٥٤) : « بعد إذ حصلنا أخيراً على قوى وساطية إلى مدى كاف لتبادل الآراء مع أصدقائنا الأرواح ، لم تعد بي حاجة لأن أدفع عن الوساطة تهمة التدليس والخداع ، وإنما هي الآن أخلاق الخاصة التي ينبغي أن تكون محل التساؤل » .

---

(١) عن كتاب «الإنسان روح لا جسد» للدكتور رءوف عبيد جزء أول ص ١٥٠ .

(٢) عن نفس المصدر ص ١٥٠ .

(٣) Experimental Investigation of The Spirit Manifestations.

كما يقول فى صفحة ٥٥ ما يلى :

« إن جميع البينات التى حصلت عليها والتى أسست عليها النتائج التى أشرت إليها حصل على مثلها وفى جوهرها عدد كبير من الباحثين . ومنهم كثيرون لم يفكروا مطلقاً فى أمر الاتصال بالأرواح ولم يدر بخلدهم أن يصبحوا روحيين . وهم على استعداد لأن يؤكدوا حدوث هذه الظواهر والتحركات ، وعلى غير استعداد لأن يتنازلوا عن الجزم بها حتى وإن كانت غامضة عليهم » .

وبعد تجارب أخرى كثيرة مع الوسيط دانيل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home ازداد الجميع اقتناعاً ، خصوصاً بعد تجارب عالم الكيمياء سير وليم كروكس رئيس «المجمع العلمى البريطانى » . هذه التجارب التى أسهمت فى بناء اقتناعه الكامل الذى حفزه إلى أن يقدم إلى المجمع العلمى هذا فى سنة ١٨٧٤ تقريره التاريخى « بحوث فى ظواهر الروحية »[١] .

وبعد هؤلاء أقبل نفر من أبرز علماء الفيزيقا والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحية . وأخذ الاهتمام بها يتزايد شيئاً فشيئاً فى بلاد العالم المختلفة ، حتى نشأت حركة واسعة النطاق للبحث فى الروح ، سرعان ما كان لها صداها فى أغلب بلاد العالم ، بما فى ذلك بلادنا المصرية ، فشملت بلاد الحضارة المعروفة ، وفى نفس البيئات العلمية

---

(١) Researches In The Phenomena of Spiritualism.

التي قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن (١) .

وبتزايد الاهتمام بالروحية ازداد ظهور بحوث هؤلاء الرواد الأوائل للروحية في أمريكا ، ثم توالت المؤلفات وتنوعت . . ثم انضمت للحركة الروحية — بعد مقاومة عنيفة — جرائد ومجلات شتى ، ونشرات ودوريات متخصصة . كما أبدى عدد من الساسة عطفه على هذه الحركة ، ولم يخف بعضهم اقتناعه التام بصحة الموضوع ، ومنهم الرئيس أبراهام لنكولن ، والمخترع العظيم إديسون الذي اشترك في البحث الروحي ووقف في جنازة الرئيس هاردنج يعلن : « إني أبحث عن الحقيقة . وقد تقدمت في مضمارها تقدماً كبيراً ، خصوصاً فيما يتعلق بالعالم الآخر والحياة بعد الموت . وإني أقر بأنه لابد وأن تبقى الروح ، وتحيا بعد انفصالها عن الجسد . وتتجه جميع أفكاري نحو حل هذه المشكلة ، وهي مشكلة استمرار الحياة بعد الموت ، والمناطق التي تعلو إليها النفس : وأي شكل تتخذه فيها وطبيعة صلاتها المحتملة بهذا العالم الأرضي » (١) .

كما انضم إديسون إلى الجمعية الثيوصوفية منذ عام ١٨٧٨ ، وهي جمعية تقوم على الفلسفة الروحية ، وبوجه خاص على الأخوة الإنسانية ، وقد أسستها مع الكولونيل أولكوت في سنة ١٨٧٥ الوسيطة الروسية المعروفة

---

(١) عن « الإنسان روح لا جسد » المرجع السابق جزء أول ص ١٦ .

(٢) عن المجلة الروحية الفرنسية La Revue Spirite عدد ديسمبر ١٩٢٣ ص ٥٦٣ .

هيلين بتروڤا بلا ڤاتسكى ، التى عاشت جزءا من شبابها فى بلادنا ، وأسست فى القاهرة منذ سنة ١٨٧١ أول جمعية روحية .

وممن اشتركوا فى البحوث الروحية وأبدوا اهتماماً وتأييداً عظيماً لها ، عالم النفس والفيلسوف المعروف وليم جيمس الذى كان أستاذاً للفلسفة بجامعة هارڤارد ، ثم أصبح مديراً لهذه الجامعة . ويعتبر حالياً من أحسن علماء النفس والفلاسفة الذين أنجبتهم أمريكا . وقد أنشأ فى سنة ١٨٨٩ « جمعية البحث الروحى الأمريكية » على غرار « جمعية البحث الروحى بلندن » التى تأسست فى سنة ١٨٨٢ ، وانتظمت مجموعة من أفضل العلماء منهم : وليام باريت ، وچورچ رومانس ، وفردريك مايرز ، وإدموند جيرنى ، ووليم كروكس ، وألفريد رسل وألاس ، وأوليڤر لودچ ، وهنرى سدجويك ، وأوسكار برونتج ، ورتشارد هدجسون ، وكلهم من أعضاء المجمع العلمى أو أساتذة فى الجامعات البريطانية .

ومنهم أيضاً تشارلس أوليوت نورتون الأستاذ بجامعة هارفارد بأمريكا ووليم ليوبولد ، وچيمس هايسلوب أستاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا ، والعالم الفرنسى كامى ڤلامريون الفلكى المعروف ، وشارل ريشيه الفسيولوجى الكبير . .

وقد حدد قرار تشكيل هذه الجمعية اختصاصاتها كالآتى :

« دراسة طبيعة أى تأثير قد يباشره عقل فى آخر خارج أعضاء الحس العادية ومداه ، والتنويم المغنطيسى ، والمسمرية ، والجلاء البصرى وما يلحق به من ظواهر ، وتحقيق كشوف ريخنباخ عما يسمى بالقوة الشاذة

وتحقيق المنازل المسكونة ، والبحث فى ظهور الأشباح ، Odic force الظواهر الفيزيقية للروحية ، وإنشاء مكتبة متعلقة بالموضوعات الروحية بوجه عام »(١)

ولا نزاع فى أن وليم جيمس قد تبوأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام ، فاستطاع أن يبث فى التفكير الفلسفى فى بلاده روحاً فتية زاهرة أكسبته حياة وخصباً ومدت رحابه إلى العلم والأدب والفن وهيأت له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجدد النامى بأوفى نصيب(٢) .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه عن « وليم جيمس » :

« ولقد أفادته بحوثه مع زملائه إفادة جمة فى الوصول إلى نتائج علمية تخدم أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين . ولعل هذه الجمعية كانت الأساس المتين الذى جعل لجيمس شهرة فى الموضوعات الصوفية ، إذ وصلت الجمعية فيما وصلت إليه إلى وجود النفس المستورة ، فجعل منها قاعدة لوجود عنصر غير فيسولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يؤدى إلى اتجاه الإنسان نحو الله . . واكتشف جيمس — كعضو عامل فى الجمعية — وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم جوهر الدين فى فلسفته الدينية كما سنرى » .

ويقول أيضا فى بحثه القيم عن وليم جيمس :

---

(١) عن « الإنسان روح لا جسد » جزء أول ص ١٩٧ .
(٢) من مقال للدكتور عثمان أمين فى مجلة « الكتاب العربى » العدد الأول ص ٢٢ بتاريخ ١٠ يونية ١٩٦٤ .

« لقد وصل چيمس من خلال دراساته للتنويم المغنطيسي ، وأبحاثه في العلاج الروحاني ، ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (هم وسطاء الإلهام) — وصل من ذلك إلى حقيقة هامة هي أن شعورنا اليقظ الراهن ليس سوى نمط واحد من أنماط الشعور الإنساني . ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ، ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً في حياتنا . . ويروى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شيء » [١] .

وفي أحد فصول مؤلفه « إرادة الاعتقاد The Will to Beleive يقول وليم چيمس عن البحث الروحي : « إننا لو قارنا رأينا الحالي مع نظرة الماضي نحو الفكر البشري حينذاك ، سواء علمياً أو دينياً ، لروعتنا الدهشة بأن الكون الذي يظهر بهذه العظمة والغموض لنا ، يكون قد بدا لغيرنا شيئاً صغيراً بسيطاً . .

« والآن إذا نظرنا إلى العالم من زواياه المختلفة وهي عالم ديكارت أو نيوتن أو عالم المادة في القرن الماضي ، أو عالم بريد چووتر في عصرنا الحاضر لرأيناه هو هو بعينه دائماً (العالم الصغير الغير المنظور) . .

« وإذا رجعنا إلى ليل وفرادي وميل وداروين ، وفحصنا نظرياتهم المختلفة ، لوجدنا أنهم يضفون على آرائهم نظرة الطفولة والبراءة .

---

(١) عن كتاب « وليم جيمس » للأستاذ محمود زيدان ص ١٥٤ و ١٥٥ .

« إن الفصيلة الوحيدة المتكاملة لتفكيرنا ، كما يقول أساتذتنا فى الفلسفة هى فصيلة شخصيتنا ، وما عدا ذلك من الحالات يعتبر من العناصر التجريدية فقط . وإن إنكار العلم التقليدى للشخصية كمظهر للحوادث ، وإن الاعتقاد الصارم بأن العالم قطعاً عالم غير شخصى فى أخص خصائصه ، ليبرهنان على أنهما النقص الذى سيتعجب منه خلفاؤنا بالنسبة للعلم الذى نفخر به نحن — ذلك النقص الذى سيجعل علمنا فى نظرهم قصير النظر وعديم العمق »(١)

ومن أشهر بحاث العلم الروحي ودعاته جيمس هايسلوب ، وكان أستاذاً للمنطق وللأخلاق بجامعة كولومبيا بولاية نيويورك . وساهم فى تنظيم « جمعية البحث الروحي الأمريكية » وأصبح رئيساً لها ، وعمل على إصدار جريدتها منذ سنة ١٩٠٧ . وله مؤلفات غزيرة فى العلم الروحي منها : « الحياة بعد الموت » (١٩١٨) ، و « العلم وحياة مستقبلة » (١٩٠٦) . و « حدود البحث الروحي » (١٩٠٦) و « ألغاز البحث الروحي » و « البحث الروحي » و « البحث الروحي والبعث » (١٠٨) و « البحث الروحي والحياة بعد الموت » (١٩١٣) ، و « اتصال بالعالم الآخر » (١٩١٩)

ومن الباحثين والرواد الأوائل للحركة الروحية : فرديناند شيللر ، وإدوارد راندال ، وهيوارد كارنجتون ، ووالتر برنس مؤسس « جمعية بوسطون للبحث الروحي » وادوين باورز الأستاذ بجامعة مينيا بوليس ومؤلف

---

(١) The Will to Beleive P. 328.

كتاب «ظواهر حجرة تحضير الأرواح »(١)، وكارل ويكلاند عضو «الجمعية الطبيعية فى شيكاغو وإلينوى» وعضو «الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم» ومن مؤلفاته كتاب «ثلاثون عاماً بين الموتى»(٢)، وو ليم مكدوجال الذى كان عميداً لكلية علم النفس بجامعة ديوك . وله شهرة عالمية فى علم النفس الحديث. وقد اتجه إلى بحث الظواهر الوساطية أولاً فى « جمعية البحث الروحى البريطانية » التى كان رئيساً لها ثم رئيساً « لجمعية البحث الروحى الأمريكية » .

وقد وضح مكدوجال آراءه فى مؤلفاته التى منها « التحليل النفسى وعلم النفس الاجتماعى» (١٩٣٧)، وهو عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها فى جامعة لندن فى سنة ١٩٣٥ — وقد هاجم فيه بوجه خاص الفهم القديم للعقل الباطن ولعقدة أوديب .

وبشر مكدوجال فى مجلته « البارا سيكولوجى » بصدق الظواهر الروحية وطالب بالاستعاضة عن العقل الباطن وعقدة أوديب بالجسم الأثيرى أو الروحى .

ومن أحسن وأشهر العلماء المعاصرين الذين عنوا عناية خاصة بالبحث فى الظواهر الوساطية ج . ب . راين أستاذ السيكولوجيا ومدير معامل الباراسيكولوجى التى أنشأها مكدوجال . ولقد أمضى راين فى هذه الدراسات أكثر من ثلاثين عاماً ، وأصدر فيها عدة مؤلفات منها كتاب

(١) ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .
(٢) قام بترجمة قسمه الأول إلى العربية الدكتور على عبد الجليل راضى .

عنوانه « عالم جديد للعقل » ، وكتاب « الوصول إلى العقل » The Reach of The Mind[1] .

ولقد أجرى إحصاء قبل سنة ١٩٤٨ . اتضح منه أنه كان يوجد بالولايات المتحدة وحدها أكثر من تسعمائة هيئة وجمعية تبحث أمور العلم الروحي الحديث ، وحوالى ثلاثمائة خطيب ومحاضر فيها ، وأكثر من ألف وسيط روحي . عدا وسطاء الدوائر المنزلية الذين لايظهرون فى الجلسات العامة . واتضح أنهذه الجمعيات والهيئات الروحية تضم حوالى ستين ألفاً من الأعضاء ، ومائة وخمسة وعشرين ألفاً من المتهمين بهذه الأمور ومن المتصلين بها بطريقة أو بأخرى .

وقد ازدهرت الحركة الروحية أيضا ازدهاراً قوياً ، وتعددت الأكاديميات وكراسى الأستاذية فى شتى الجامعات فى بلاد أمريكا اللاتينية ، التى يصدر فيها حالياً أكثر من ستين جريدة ومجلة متخصصة فى الشئون الروحية .

(١) قام بترجمته إلى العربية الدكتور محمد الحلوجى بعنوان « العقل وسطوته » .

الفصل الثالث

الحركة الروحية فى إنجلترا

لا يقل الاهتمام بالبحوث الروحية فى إنجلترا عما هو فى أمريكا بل إن فى إنجلترا علماء ورواد وأقطاب كثيرون يعنون بهذه البحوث ، ولهم فيها مؤلفات ودراسات تعتبر من المراجع القيمة . ومن هؤلاء من كانوا من قبل أبناء مدارس مادية مزمنة لاتسلم مطلقاً بصحة أى أمر من هذه الأمور.

ومن هؤلاء مثلا نجد رتشارد هودجسون الذى يقول : « إن العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جداً . فأؤمل أنه بعد مضى عامين أو أقل أهدى إلى العالم أجمع تفسيراً جديداً لنواميس الحياة الإنسانية، ولهذه العقيدة القديمة التى لايمكن أن يعارضها أى دين . ولا أن تعترض طريق أية طائفة من الطوائف . . وسيتضح كل شىء للنوع الإنسانى الذى يئن ويتألم من الشكوك ويتأرجح معها إلى هنا وهناك . .

وإذا كان الأستاذ هايسلوب قد أعلن أنه تحادث مع أرواح الموتى فإنه لم ينطق إلا بحقيقة نقية » .

ثم يضيف هودجسون : « لقد بدأت أبحاثى أنا والأستاذ هايسلوب منذ اثنتى عشرة سنة ، وكنا ماديين دهريين لانصدق فى شىء من ذلك مطلقاً . ولم يكن لنا إلا غرض واحد، وهو كشف الغش والتدليس ليس إلا. أما اليوم — وما أدراك مااليوم — فإنى أعتقد وأجزم بإمكان المحادثة مع

أرواح الموتى . وقد قام عندى الدليل على صحة هذا الأمر بحيث لاأتصور مطلقا أن يتطرق إليه الشك »(١) .

ولقد واصل عدد كبير من علماء كبار بحوثاً فردية منهم : أوجستوس دى مورجان ، أستاذ الرياضة بجامعة لندن ، ورئيس الجمعية الرياضية ، وسكرتير الجمعية الملكية الفلكية . وكانت بحوثه جميعها فى منزله ، وقد جمعها فى سنة ١٨٦٣ فى مؤلف عنوانه « من المادة إلى الروح From Matter to Spirit » وضمنه نتيجة تجارب عشرة أعوام فى ظواهر الروح .

ومنهم سير وليم كروكس ، وكان رئيساً للمجمع العلمى البريطانى ، ويعد من أبرز العلماء الطبيعيين فى القرن الماضى . بل كان عالم عصره فى الكيمياء والفيزيقا ، وله فيها كشوف عظيمة . فهو الذى كشف عنصر الثاليوم ، وهو الذى وضع نظرية « المادة المشعة » . ومن أهم كشوفه أو مخترعاته ذلك الزجاج الذى يحمى عيون العمال من الأشعة الفاتكة المنبعثة من الزجاج المنصهر(٢).

أما بحوثه فى موضوع الأرواح . فقد كانت من القوة والوضوح بحيث أضفت عليها صفة العلم الرسمى منذ سنة ١٨٧٤ ، عندما قدّم تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى تحت عنوان « بحوث فى الظواهر الروحية » .

---

(١) عن « الإنسان روح لا جسد » جزء أول ص ١٩٩ .

(٢) عن كتاب « ظواهر الروحية » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير

وفى هذا الكتاب . يقرر كروكس : « بما أنى متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الأدبى أن أرفض شهادتى لها بحجة أن كتاباتى قد سخر منها الناقدون وغيرهم ، ممن لايعلمون عن هذا الأمر شيئاً » .

وبعد ست سنوات من البحث ، قال عبارته المأثورة : « لست أقول إن الاتصال بالأرواح ممكن الحدوث ، بل أقول إنه أمر حاصل بالفعل».

وفى سنة ١٩١٧ نشر مقالاً فى « الجريدة الروحية الدولية ، » قال فيه : « لم يجد بعد ما يجعلنى أغير رأيى فى الموضوع ،وإنى مقتنع تماماً بكل ماقلته فيما مضى ، وإنه لحق صراح أن الاتصال قد تم بين هذا العالم والعالم الثانى »

ومنهم سير وليم باريت عالم الطبيعية ، وكان أستاذاً لها بكلية العلوم بجامعة دبلن ،وعضواً المجمع العلمى البريطانى .ولقد ساهم فى سنة ١٩٢٠ فى إنشاء الكلية البريطانية للعلم الروحى . وله عدة مؤلفات منها : « البحث الروحى » (١٩١١) ، و« على عتبة غير المنظور» (١٩١٧) ، و« عصا التنجيم » (١٩٢٦) ، و« رؤى على فراش الموت » (١٩٢٦) .

وقد لخص وليم باريت نتائج بحوثه الطويلة الشاقة فى المجلد الرابع والثلاثين من « مضابط جمعية البحث الروحى » الصادر فى سنة ١٩٢٤ قائلا : « لقد ثبت أولاً وجود عالم روحى . وثانيا الحياة بعد الموت . وثالثاً إمكان الاتصال بهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك » . وكان مقتنعاً — من ناحية معرفته بالفيزيقا — بوجود أثير مضىء ذى طبيعة خاصة يحيا فيه سكان عالم الروح »[١]

ولقد صرّح أيضاً : « إنى مقتنع تمام الاقتناع بالحقيقة الواقعة .

وهى أن هؤلاء الذين عاشوا على الأرض فى وقت من الأوقات يمكنهم الاتصال بنا . بل هم فى الواقع متصلون بنا ، وإنه لمن الصعب جداً أن نبدى للمتشككين غير المدربين أية فكرة كافية عن القوة العظيمة للواقع المجهول » .

ومنهم لورد چون وليم رايلى . وكان أستاذاً للطبيعة التجريبية منذ سنة ١٨٧٩ فى جامعة كمبريدج ومديراً لمعاملها . وقد اكتشف فى الجو غازات لم تكن معروفة من قبل ، ونجح فى عزل غاز الأرجون ، وفى سنة ١٩٠٤ حصل على جائزة نوبل فى الطبيعيات. وترجع صلته بالبحث الروحى إلى عام ١٨٧٤ . عندما بدأ تجاربه مع الوسيطتين كات فوكس وأسابيا بلا دينو.

ومن العلماء الماديين الذين أصبحوا من أبرز أعلام الروحية سير أوليفرلودج مدير جامعة برمنجهام . وعضو الجمعية الملكية ، وهو من أقوى علماء الفيزياء فى القرن العشرين . وبعد بحوث شاقة دامت لمدة خمسة وعشرين عاماً، أعلن لودج شهادته الصريحة الحاسمة للحياة بعد الموت « ولبقاء الشخصية الإنسانية بعد فناء الجسد » على حد تعبيره . ثم ظهرت له عدة مؤلفات رائعة فى الروحية تربو على العشرين كتاباً .

ولقد واصل لودج بحوثه الروحية على نمط دقيق لمدة جاوزت نصف قرن من الزمان ، وكلما نجح فى الربط بين هذا العلم وبين معلوماته الواسعة فى الفيزياء الحديثة كلما ازداد اقتناعاً ، ولا غرابة فى ذلك لأن دراسة اللاسلكى عبارة عن دراسة الاهتزاز . ونظرية الاهتزاز هى التى

تفسر وحدها وجود عوالم متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ دون أن يشعر بعضها بالبعض الآخر ، فلكل عالم منها أمواجه الصوتية والضوئية والحرارية ، التي تختلف في أطوالها عن أمواج العالم الآخر .

ولم تنقطع محاضراته ولا خطبة الشائقة عن الخلود والاتصال بالأرواح. ففي خطبة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ يقول لودج : « . . ليس من العقل أن يقال إن النفس تضمحل إذا تلف الجسد ، بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض . أقول ذلك مستنداً إلى أدلة علمية — أقوله لأنى تحققت أن بعض أصدقائى الذين ماتوا لايزالون موجودين ، إذ أني قد ناجيتهم ، ومناجاة الموتى ممكنة لكن ينبغى أن نجرى على نواميسها ، وأن نعرف شروطها وهى ليست من الأمور الهينة(١)».

وقد حاضر لودج فى الإذاعة البريطانية فى سنة ١٩٣٤ فى هذا الموضوع — وقد بلغ الثانية والثمانين من عمره — قائلاً : « إننى لم أصل إلى معتقدى فى صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الدينى ، وإنما بنيت اعتقادى فيه على نتائج التجارب العلمية التى قمت بها فى مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذى ينبغى عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر ، فلا يقصر أمره على ظواهر المادة . كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن . . . »

وقد انتقل لودج إلى عالم الروح فى أغسطس سنة ١٩٤٠ عن ثمانية

---

(١) نشرت أجزاء من هذه الخطبة فى مجلة « المقتطف » عدد ٤٠٦ فبراير ١٩١٥ .

وثمانين عاماً ، وهو مصر على اقتناعه هذا . وعادت روحه من جديد كيما تتحدث في نفس هذا الموضوع في قاعة كنجزواى بعد ذلك بسنوات قلائل في شهر يونية من سنة ١٩٤٦ ، أمام أكثر من ألف وخمسمائة مستمع حضروا الاجتماع الحافل برئاسة مارشال الطيران لورد دودنج ، وبوساطة وسيط الصوت المباشر لزلى فلنت[١] .

ومنهم العالم النفسانى المعروف فردريك مايرز ، وكان أستاذاً لعلم النفس بجامعة كمبريدج . وله بحوث شاقة فى العقل الباطن تعتبر من أعمق ما كتب فيه حتى الآن . وظل مايرز من أهم الأعضاء العاملين فى « جمعية البحث الروحى » حتى انتقاله . ومجلدات هذه الجمعية التى صدرت فى أثناء حياته حافلة ببحوثه فى الروحية .

ويعد مؤلفه « الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعد موت الجسد » الذى ظهر فى سنة ١٩٠٣ فى مجلدين ضخمين من أقوى الكتب التقليدية فى هذا البحث ، إذا أنه قد أقام دعامة العلم الروحى الحديث . وقد وصفه الفيلسوف وليم چيمس بأنه « الخطوة الأولى فى أية لغة لفهم الظواهر الروحية » . وفيه يعالج مايرز العقل الباطن للإنسان الذى يمثل الذات الحقيقية له ، ولا يعد العقل الواعى إلا شطراً ضئيلاً منه ، ويثبت الحياة بعد الموت لهذه الذات من هذه الزاوية .

ومنهم أيضاً : إدموند جيرنى ، ودكتور و.ج. كروفورد ، وچون وليم ديون ، وچون هيتنجر ، ودكتور ألكسندر كانون ، وهارى

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد أبريل ١٩٤٨ وعدد مارس ١٩٥٥ .

برايس السكرتير الفخرى لجامعة لندن والأستاذ بأكسفورد. وهؤلاء جميعاً لهم أبحاث قيمة ، ولهم عديد من الكتب والمجلدات التى تبحث فى الروحية ، والتى تعتبر من المراجع العلمية التى يعتد بها ويعول عليها .

ولم تقتصر المساهمة فى تطور البحث الروحي وتقدمه فى انجلترا على تلك الأسماء التى ذكرناها فحسب ، وإنما كان لكثير من رجالات الفكر والأدب دور كبير قدرته لهم الهيئات الأدبية حق قدره من الناحيتين الثقافية والخلقية . فقد أهتم كثير من الأدباء والمفكرين والصحفيين المعروفين بالموضوع اهتماماً بالغاً : فراحوا يدلون بآرائهم فيه ، ويبحثون ويجربون ، إلى أن انتهوا أخيراً إلى الاقتناع بصحته. وشعروا بخطورة هذا الموضوع وبفائدته العظمى للناس. فلم يسعهم إلا أن يمسكوا بأقلامهم ويعلنوا رأيهم جهاراً ، غير عابئين بسخرية الساخرين من الجهلة ، وما كان أكثرهم ، لاسيما عندما كانت الكشوف الروحية فى مهدها لا يعرف الناس عنها شيئاً بعد (١) .

فمن هؤلاء الذين كرسوا جهدهم ومالهم لنشر المعرفة بين مواطنيهم الأسماء الآتية :

وليم ت . ستيد (١٨٤٩ — ١٩١٢) :

كان نقيباً للصحفيين ومديرا « لمجلة المجلات Review of Reviews وكان هو نفسه وسيطا لروح تدعى أمس جوليا ، طلبت منه أن يفتتح

---

(١) عن « الإنسان روح لا جسد » جزء أول ص ٢٣٢ .

مكتباً للاتصال بالأرواح مجاناً ، فافتتحه فى سنة ١٩٠٩ تحت اسم « مكتب جوليا » . وقد أملت عليه الروح جملة خطابات عن عالم الروح ، نشرت لأول مرة تحت عنوان « خطابات چوليا » فى سنة ١٩٠٨ ، وأعيد نشرها فى سنة ١٩٥٢ بمعرفة « نادى الكتاب الروحى » ، بعد إضافة عدة خطابات جديدة تحت عنوان « بعد الموت» After Death وقد ترجم هذا الكتاب إلى أغلب لغات العالم ، وترجم حديثاً إلى اللغات اليابانية واليونانية والبولندية .

ومن أقوال چوليا بصدد افتتاح هذا المكتب :

« . . . فنتيجة هذا المكتب هى فى رأيى تعميق الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى بعيد وتقويته ، هذا أمر مفيد بغير شك . فإن هذا الإحساس محتاج إلى تقوية . . ستجدون أننا نحن الذين على هذا الجانب ، والذين أمكنهم أن يروا ويشعروا ويعلموا أن الله محبة سيخبرونكم أن هذه المحبة هنا كما هى عندكم ليس من طبيعتها أن تمحو الألم والأسى ، وكل ماينجم عن نقص الإنسان من آثار. فلم نصل إلى الكمال بعد ، بل نتجه فقط نحو نداءاتنا الأسمى هنا كما هى الحال عندكم . .

« فهل تظن أننا قد وصلنا إلى التمتع بمجد الله كاملاً ، لمجرد أن بيت خيمتنا الأرضى قد نقض ؟ قطعا لا ، فإذا ماسقط رداؤنا الأرضى فإننا نبقى أحياء . وزيادة هذا الإحساس بالبقاء ، وبحقيقة سيادة الناموس ، وبالمسئولية عن الوقت الذى أمضيناه إزاء الأبدية ، بكل مايتضمنه ذلك من معان : هذا هو التغيير العظيم الذى يمكن للمكتب أن يقوم به » .



صورة التقطت لمس
استيل ستيد فى دائرة كرو
الروحية فى شهر أكتوبر
١٩١٥ وقد ظهرت بها روح
والدها وليام ت . ستيد فى
الوسط غير متجسد (١)

(١) عن كتاب « الإنسان روح لاجسد » الجزء الثانى ص ٧٦ . وبالجزء الأول منه تجد العشرات من صور الأرواح (التى التقطت تحت رقابة علمية) متجسدة وغير متجسدة .

كما تقول أيضاً نفس الروح : « إنى مهتمة بذلك ، لأن فوائده ستكون أعظم بكثير من أضراره . فاذا أردت أن يكون عندك تليفون فليس معنى ذلك أنك تريد أن يطلبك الناس دائماً ، أو أن يخبروك بما ينبغى عليك أن تفعله . إنه على هذا الوضع يصبح محض ضرر ، وهكذا يمكن أيضا أن يصبح مكتبى . فإذا أمكنك أن تحقق الاتصال لمجرد إثبات أن الحياة مستمرة وأن الحب باق ، وأن العالم الآخر على صلة بعالمكم . . ألا يكفى ذلك ؟ لو أن ذلك كان كذلك فحسب ، ولا شيء غيره ، لاستحق العناء لكى يعود قويا الشعور بالعالم غير المنظور ، وحقيقة المحبة الخالدة . إن ذلك يكفى »(١)

وقد انتقل ستيد إلى عالم الروح فى حادثة غرق الباخرة تيتاينك فى شهر أبريل من عام ١٩١٢ . وظل بعد انتقاله يراسل عالم المادة بخطابات كثيرة ، وبكتاب كامل أملاه على الوسيط باروى ودمان عنوانه « الجزيرة الزرقاء» The Blue Island وقامت بنشره كريمته إستيل ستيد بمقدمة من سير آرثر كونان دويل .

آرثر كونان دويل :

كان كاتباً، وأديباً ، وقصصياً بارعاً ذائع الصيت ، وخطيباً مفوهاً ، وكان فى ذات الوقت طبيباً قديراً . وليس هناك من القراء من لم يسمع عنه ، ولعل كثيراً منهم قرأ له بعض قصصه عن شارلوك هولمز والدكتور

---

(١) « After Death. » ص ٧١ طبعة ١٩٥٢ .

واطسون ، وغيرهما . ونشر له عدد عديد من المؤلفات ، منها ماكتبه فى الأرواح ، ومنها الخطب والمحاضرات التى كان قد ألقاها فى أمريكا عندما زارها داعياً لهذا الموضوع ، ومنها القصص الروحية ، ومنها الكتب والرسائل الواردة من عالم الروح.

وكان لدويل دور هام فى إنشاء « الكلية البريطانية للعلم الروحى » ، وكان عضواً فى « جمعية البحث الروحى » ، ثم أصبح رئيساً شرفياً « للاتحاد الدولى للروحيين » ، ورئيساً شرفيا « للاتحاد الأهلى للروحيين » بلندن ، و« الاتحاد اللندنى للروحيين » .

وبالإضافة إلى نشاطه فى البحث والتأليف والخطابة ، أسس دويل فى سنة ١٩٢٥ « المتحف الروحى بلندن » لكى تعرض فيه صور فوتوغرافية للأرواح ، ولوحات وكتابات للوسطاء الروحيين ، ومجلوبات روحية ، ونماذج من تجسدات الأيدى والأعضاء وغير ذلك .

وانتقل أرثر كونان دويل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣٠ ، ولقد أملى كونان دويل بعد انتقاله على الوسيطة جريس كوك رسائل كثيرة تتميز كلها بنفس أسلوبه الجذاب وطريقته الشائقة المعروفة ، وفى بعضها يقول :

« إنى لاأريد إفساد معتقداتكم فى الروحية ، وإنما أحاول وضع فهم أكثر عمقاً وحكمة ودقة للحق المبين ، للحياة بعد الموت . إن بعض الذين ينتقلون من عندكم يكونون فى حالة إنهاك عقلى وروحى ، وبذا يعيشون أزماناً طويلة كما لو كانوا فى حلم ، فهم مازالوا يعيشون كما كانوا من قبل وبعض النفوس الأخرى تخترق العوالم السفلية بسرعة وترى بالجسم الكوكبى

الثقيل - ثم تدخل ملكوت السموات ..

« تذكروا أنه فى حالة وعى كهذا فقط تواجه النفس البشرية بحكمها أو بالله ، وعندما تواجه بهذا الحكم ، الذى ماهو إلا إدراك النفس على حقيقتها ، يصبح الإنسان قادراً على النظر فى أعماق ذاته مرة واحدة وإلى الأبد . .

« . . أنا لا أحب أن أتكلم الآن بلفظ « أنا » . لقد أصبحت « نحن » بدلا منها ، وهذا هو شعور كل من يدخل إلى مملكة الحياة الروحية ، حيث لا انفصال بينه وبين إخوانه ، ولا بينه وبين الله . عندئذ سوف يعلم الإنسان أنه لا يستطيع التفكير أو الكلام أو العمل منفرداً بنفسه ، لأن كل فكرة أو كلمة أو عمل له تأثير فى المجموعة كلها . . »(١)

وفى رسالة طريفة أخرى يقول :

« عندما تركت جسمى ، شعرت أنه من الصعب علىّ التخلص من الروابط الأرضية لمدة كبيرة ، ولو أنه من العسير على أن أشرح جغرافية مكانى بالضبط . شعرت وياللعجب أنى مرتبط بالمكان الذى ولدت فيه ، بسنى طفولتى ، حتى أصبحت عاجزاً عن الهرب أو التقدم إلى تلك السماء التى آمنت بوجودها ، وكنت أعتقد أنها لابد قريبة جداً . حقا كنت مربوطاً ، وفشلت كل محاولاتى للاتصال بأصدقائى . وحاولت ثم حاولت وأيقنت أن اتصالى مهمة فى غاية الصعوبة ، وكم ضايقنى ألا أعرف السبب فى ذلك .

---

(١) عن كتاب « أرواح مرسلة » ترجمة الدكتور على عبد الجليل راضى ص ٧٩ و ٨٠ .

ولكنى وجدت نفسى قادراً على إرسال رسائل فكرية . وبدا لى أن صوراً تخطيطية يمكن أن تنفذ من الظلام الدامس الذى يحيط بى . مثل هذه الرسائل البسيطة أعطت تأكيداً لعائلتى على أنى كنت واعيا على أية حال ، ثم جاءتنى قوة لا أعرفها لكى تساعدنى على معرفة حالتى بالضبط . وأدركت أنها آتية من الأخوة القطبية ، وكانت هذه عديمة النظير، وأعطتنى صورة واضحة عن الحياة الواقعية التى تنتظرنا وراء الموت..

ويظهر أن كل نفس ذائقة هذا الحال أو هذه الفترة من الزمن التى قد تكون طويلة على حسب حالة الإنسان عندما ينفصل عن جسمه. وقد لاتعدو هذه الفترة بضع ساعات أو أيام بالنسبة لبعض النفوس وقد تكون سنوات عديدة بالنسبة للبعض الآخر...

وفى العوالم النجمية توجد ظروف مختلفة تتوقف على رغبات الذين يسكنون هناك ، مثلما يوجد لديكم على الأرض درجات اجتماعية كثيرة ، وكل يعيش فى مستواه الخاص . وعلى هذا تأتى إليكم أوصاف مختلفة : كل منها صادرة من مستوى معين فى ذلك الوجود النجمى . ولكن بعد الموت الثانى أى موت الجسم النجمى يتخلص الإنسان من هذه المركبة النجمية ويدخل حياته السماوية وعندئذ تجد حالة واحدة من التوافق حيث تسود النفس نغمة واحدة من المحبة والخدمة »[1] .

---

(١) عن نفس المصدر ص ٧٦ و ٧٧ وراجع فى كتاب « الإنسان روح لا جسد » وصفاً تفصيلياً لأسلوب الحياة فى عالم الروح وذلك فى الجزء الثانى منه ص ٦٥–٢٣٢ ، وعن الثواب والعقاب ص ٢٣٣–٣٤٦ .

ألفريد كيتسون :

وهو ممن حملوا لواء الدعوة لنشر المعرفة الروحية بين الأطفال والأولاد. وكان من الرواد الأوائل للحركة الروحية فى إنجلترا . . وقد بدأ منذ سنة ١٨٨٢ فى تدريس الروحية فى مدرسة باتلى كار، ووضع لها منهاجاً مماثلا للمنهاج الذى وضعه لمثل هذه المدارس فى أمريكا رائد الروحية أندروجاكسون دافيز . وبفضل جهود كيتسون أيضاً ، تأسس « الاتحاد البريطانى للمدارس الروحية » بمدينة أولد هام فى سنة ١٨٩٠

هانن سوافر :

كان من كبار الكتاب البريطانين ونقيباً للصحفيين هناك . وقداقتنع بصحة موضوع الأرواح بعد جلساته مع وسيط الصوت المباشر دنيز برادلى فى سنة ١٩٢٤ . ومنذ هذا التاريخ أخذ يواصل البحث ويعقد جلسات دورية منظمة فى منزله إلى حين انتقاله . وكان من أهم وسطائها موريس باربانيل الوسيط للروح الحكيم سيلفربيرش Silver Birch (أى الشجرة الفضية) ، وهى التى كانت تتولى الإرشاد الدائم فى دائرة هانن سوافر المنزلية . وقد ساعد هانن سوافر على نشر فلسفة الروح الحكيم « سيلفر بيرش » ، التى تعد حاليا أشهر روح مرشدة فى العالم بسبب آرائها التى تمتاز بجمالها وبعمقها مع بساطتها ، وهى تعالج مشكلات الأرضيين وآلامهم ، وتجيب على أسئلتهم فى تدفق وبلاغة .

ولهانن سوافر مؤلفات كثيرة فى موضوع الأرواح . خلاف ماجاء على لسان الروح المرشد الحكيم ، والتى جمعت فى كتب ترجمت إلى أغلب لغات العالم الحية . وأهم هذه الكتب : « تعاليم سيلفر بيرش » و« تعاليم أخرى لسيلفر بيرش » و« حكمة سيلفر بيرش» و« حكمة أخرى لسيلفر بيرش » و« سيلفر بيرش يتحدث » و« سيلفر بيرش يتحدث ثانية » و « إلى الروح الأعظم » وهو يتضمن مجموعة صلوات ودعاءات رائعة . . وقد ترجم الدكتور على عبد الجليل راضى بعض هذه الحكمة فى كتابه « سفير الأرواح العليا» . .

ومما يجدر بالذكر هنا أن هانن سوافر قد انتقل إلى عالم الروح منذ سنوات . ولن يكون عجيباً أن نقول إنه يعمل مع إمامه سيلفر بيرش فى عالم الروح .

جيمس آرثر فندلاى :

من ألمع قادة الحركة الروحية فى بريطانيا . ولد فى جلاسجو فى سنة ١٨٨٣ من أسرة تشتغل بالشئون المالية والاقتصادية . وبعد أن أتم تعليمه بجامعة فيث ، ثم بجامعة جنيف ، بدأ حياته الاقتصادية . ثم أصبح مديراً لعدة شركات ، إلا أن هذا النجاح المادى لم يشغله عن موضوع الأرواح ، فإذا به يبحث فيه ويؤلف ويخطب فى قاعات الخطابة فى معظم مدن إنجلترا .

ولقد قام فندلاى بتأليف عدة كتب فى العلم الروحى قابلتها الهيئات

العلمية بتقدير كبير . ومن هذه المؤلفات كتابه « على حافة العالم الأثيرى» وهو من أشهر الكتب الشعبية فى هذا الموضوع ، إذ أنه ظهر فى سنة ١٩٣١ ولم تأت سنة ١٩٤٢ إلا وظهرت طبعته الأربعون . وترجم إلى حوالى عشرين لغة ، وطبع بحروف العميان . وقد ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير . وعمل له مقدمة وملحقاً بعد الاستئذان من مؤلفه الذى أبدى ارتياحاً وسعادة لترجمة كتابه إلى اللغة العربية . حيث ينشر الحق الروحى ، ويكون آصرة قربى ومحبة وود فى أنحاء العالم ، وفى الشرق بخاصة .

وفندلاى بالإضافة إلى ذلك هو مؤسس جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News التى تصدر أسبوعياً بانتظام منذ سنة ١٩٣٢ حتى الآن .

وانتقل أرثر فندلاى إلى عالم الروح فى سنة ١٩٦٤

بحاث آخرون :

من أبرز الكتاب الروحيين : الكاتب القصصى شودزموند . وله خبرة فى هذا الموضوع امتدت إلى خمسين عاماً ، وله مؤلفات كثيرة فيه . وأسهم فى تأسيس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن .

وموريس باربانيل ، وهو من الكتاب المعروفين ويرأس حاليا تحرير جريدة « السايكك نيوز » . ولقد أسلفنا القول عنه أنه وسيط للروح الحكيم سيلفربيرش — الذى ستفرد له فصلاً خاصا فيما بعد — بل إنه ممن ساعد فى نشر فلسفته وتعاليمه .

والأديب ا. و. واليس وهو وسيط للإلهام وللغيبوبة وخطيب ومعالج روحي. تولى رئاسة تحرير جريدة « العالمين The Two Worlds » منذ أصدرتها في سنة ١٨٨٧ الرائدة الروحية إيما هاردنج بريتين ، حتى سنة ١٨٩٩ حين ترك منصبه هذا ليرأس تحرير جريدة « لايت » الروحية . وله عدة مؤلفات خلاف التي قام بتأليفها بالاشتراك مع زوجته .

وإرنست تومسون ، وجير الدين كامينز ، ويول ميللر ، وإيڤانز ، ودكتور فردريك وود ، ودكتور چيمس كوتس . ويول برنتون . ودكتور جوزيا أولد فيلد[١] .

وغيرهم كثيرون وكثيرون . . ولكننا نكتفي بهذا القدر من أسماء العلماء والمفكرين والبحاث البريطانيين ، مراعين في اختيار هذه الأسماء أن تكون من الصف الأول دون غيره .

ونحن إذا اكتفينا بذلك ، فلكي نأتي بأسماء لامعة أخرى انحاز أصحابها إلى الحركة الروحية في فرنسا .

الفصل الرابع

الروحية الحديثة فى فرنسا

لقد عرفت فرنسا العلم الروحى الحديث منذ أوائل العهد به. وانتشرت الجلسات الروحية انتشاراً سريعاً عن طريق الصالونات الراقية فى بادئ الأمر. وكان ممن كسبتهم هذه الحركة بين أنصارها الشاعر العظيم فيكتور هوجو، وأوجست فاكيرى، وبوشيه دى برت، وهنرى مارتان، والفيلسوف بلزاك، والعالم تيوفيل جوتييه، والأديبة چورچ صاند، والفيلسوف بول جانيه، والعالم بويسون، وإدوارد برانلى، وكالدرون، وكورتييه، وچان رينو، وڤيكتوريان ساردو الذى كان هو نفسه وسيطاً روحيا للكتابة التلقائية وللرسم الروحى، والدكتور داريبه الذى أسس فيما بعد التقويم السنوى للعلوم الروحية، وعالم النفس چان مايررئيس تحرير «المجلة الروحية».

وكان ممن اشتغل بالروحية من الفرنسيين أيضاً: بول جيبيه تلميذ باستير ومدير «معهد باستير بنيويورك» وقد بحث فى الروحية طويلا، وأصدر فيها مؤلفاً فى سنة ١٨٨٩٨ عنوانه «الروحية» وكتاباً آخر فى سنة ١٨٩٠ عنوانه «تحليل الأشياء: بحث فى علم المستقبل». ومن أقواله فى هذا الكتاب عن تجسد الأرواح: «إن التجسد يحدث بواسطة

الأرواح العاملة عن طريق القوة التى تستعيرها من الوسطاء ، وقد ثبت لدى العلماء الذين شاهدوا هذه العلامات الخارجية الحادثة فى حضور الوسيط بأنها تتضمن البرهان المفحم الذى لم نحصل قط على مثله بأن لنا روحاً مدركة ومميزة وخالدة بعد الموت ، أما هذه الحالة التى نحيا فيها الآن فليست سوى حالة عابرة » .

والكولونيل أوجين دى روشا «مدير مدرسة الهندسة العسكرية بباريس» يعد من أفضل رواد العلم الروحى الحديث ، ومن أكثر الباحثين تعمقاً فيه ، وله عدة مؤلفات فى الروحية ذات قيمة كبيرة منها : « القوى غير المحدودة» و «سيال المغناطسيين» و« بروز القوة المحركة » و « الانبعاثات الشاذة » و « التعاويذ وحدود العلم » و« الحيوات المتتابعة» و « تعليق الحياة » .

وكامى فلاماريون ، الفيلسوف وعالم الفلك ومؤسس الجمعية الفلكية الفرنسية ، وله مؤلفات عديدة معروفة ، منها : « الموت وغامضه » فى ثلاثة أجزاء ، و « المنازل المسكونة » و « قوى الطبيعية المجهولة» و « تعدد العوالم المسكونة » و « المجهول والمشكلات الروحية » و « الله فى الطبيعة فى مجلدين .

وقد قام بتجارب فى البحث الروحى استغرقت خمسين عاماً : قال عن نتائجها فى خطاب ألقاه فى «جمعية البحث الروحى» البريطانية فى« أكتوبر من عام ١٩٢٣ ماملخصه : « إن هناك ملكات غير معروفة فى الإنسان تنتمى إلى الروح ، وثمة شيء أشبه مايكون بنموذج آخر منه . وأن الفكر يمكن أن يخلف وراءه صوراً ما ، وأن التيارات الروحية تخترق الأجواء ، وأننا نحيا فى وسط عالم غير منظور ، وأن ملكات الروح تبقى

بعد تحلل الأعضاء الجسدية ، وأن هناك منازل مسكونة ، وأن الموتى يظهرون بصورة استثنائية ونادرة ، وأن لامحل للشك فى إمكان حدوث هذه الظواهر ، وأن التلباثى يوجد بين الأموات والأحياء بقدر مايوجد بين الأحياء » .

ومن العلماء المعروفين ذوى المكانة الكبيرة والصيت الذائع الذين اشتركوا فى البحوث الروحية : عالم الراديوم بيير كورى وزوجته مارى ، والعالم شارل هنرى ، وفرنان ديفوار ، وشارل أندرى بورجوا ، والدكتور دارسونفال ، وجان ليرميت ، والدكتور جوستاف جيلى وهو من الباحثين الروحيين الذين عنوا عناية خاصة بظواهر التجسد ، ودراسة مادة الإكتوبلازم ، وله مؤلفات كثيرة منها : « الإكتوبلازم والتجسدات » و« الإكتوبلازم والجلاء البصرى » و« الكائن الفوق الواعى » و« من العقل الغير الواعى إلى العقل الواعى » .

ثم هناك أيضا الدكتور أوچين أوستى ، ورينيه فاركولييه ، وآلان كاردك الفيلسوف ، العالم ، الطبيب ، التربوى ، الذى أنشأ « المجلة الروحية » . والفيلسوف ليون دنيز ، وجابريل ديلان ، ومدام جولييت ألكسندر بيسون ، والدكتور شازاران ، وميشيل ساج ، ورينيه سيدر ، وإدوارد سابى ، وجورج بارباران .

وغير هؤلاء كثيرون جدا يضيق المقام عن ذكرهم جميعا ، ولكننا نكتفى هنا بمن ذكرنا . وقبل أن ننتقل إلى بلادنا لنأتى بذكر من اشتغلوا فيها بالظواهر الروحية واقتنعوا بصحتها وبدلالاتها البالغة الخطورة فى بقاء

الحياة بعد موت الجسد ، يحسن بنا أن نختم هذا الفصل ببعض أحاديث مقتطفة عن هؤلاء العلماء الفرنسيين عن الروحية والعالم الآخر ومجالاته وآثار انطباعاته فى الوسطاء وفى العلم الحديث وتطور الإنسانية من جراء هذا الاتصال . . .

* * *

يقول كامى فلاماريون فى مقدمة كتابه « الموت وغامضه » (١٩٢٣)

« لقد قررت أن أقدم اليوم لاهتمام الأشخاص المفكرين مؤلفاً بدأته منذ أكثر من نصف قرن . ومع ذلك فأنا غير راض عنه تماماً ، فإن الأسلوب العلمى التجريبى ، وهو الوحيد الذى يصلح للبحث عن الحقيقة ، له مطالبه التى لايمكن ولا نقدر أن نروغ منها . والمشكلة الكبرى التى تعرض لها هذا البحث هى أكثر المشكلات تعقيداً ، وتمثل بالنسبة للتكوين العام للكون كما تمثل للتكوين العام للكائن الإنسانى ، مايمثله الجزىء الصغير فى الكل العظيم .

ولقد بدأت هذه الدراسات التى لاتنتهى منذ سنى الشباب ، لأنه فى هذا السن لايشك الإنسان فى شىء ، ولأنه يجد أمامه حياة طويلة مستقيمة ولكن هذه الحياة تمر مهما كان طولها ، كحلم له أضواؤه وله ظلاله . وإذا كان بمقدورنا أن نكوّن أمنية ما خلال هذا الوجود ، فهى أن نكون قد خدمنا بصورة ما التقدم البطىء ، ولو أنه حقيقى للإنسانية ، هذا الجنس العجيب ، الذى يجمع بين سرعة التصديق والتشكيك ، وبين عدم الاكتراث وحب الاستطلاع ، والطبيعة والشر ، والفضيلة والجريمة ،

هذا الجنس غير المتناسق والجاهل فى مجموعه ؛ والذى خرج بالكاد من إسار أصله الحيوانى . .

والإنسان ، هذه الذرة المفكرة التى تحملها ذرة مادية عبر السدم الشاسعة ؛ يمكن أن يسائل نفسه عما إذا كان تافهاً بالروح بمقدار تفاهته بالجسد ؛ وعما إذا كان لقانون التطور أن يرتفع به فى صعود لانهائى ، وعما إذا كان يوجد نظام لعالم خلقى مترابط فى تناسق مع العالم المادى .

أليست الروح أسمى من المادة؟ وماهى طبيعتنا الحقيقية ؟ وماهو مصيرنا فى المستقبل ؟ وهل نحن لسنا إلاّ شعلات عابرة تومض لحظة كيما تنطفئ نهائيا ؟ وهل لن نرى أبدا أولئك الذين أحببناهم ، والذين سبقونا إلى العالم الآخر؟ وهل انفصالنا عنهم أبدىّ ؟ وهل يموت فينا كل شيء؟ وإذا كان يتبقى فينا شيء ؛ فما مصير هذا الشيء الذى لايوزن ولا يخضع للحواس ؛ ولكنه مع ذلك واعٍ . ويكون شخصيتنا الدائمة ،وهل سيبقى بعد الموت لأمد طويل ؟ وهل سيبقى بعد الموت للأبد ؟

أن نكون أم لانكون ؟ هذا هو السؤال العظيم الذى وضعه الفلاسفة والمفكرون ؛ والباحثون فى جميع العصور وجميع العقائد . هلى الموت نهاية أم هو تحول ؟ وهل توجد أدلة وبينات على حياة الكائن الإنسانى بعد انهيار أعضائه الحية ؟ ولغاية هذه الأيام ظل هذا الموضوع خارج إطار المشاهدات العلمية ؛ فهل من الجائز أن نتناوله بمبادئ الأسلوب التجريبى الذى تدين له الإنسانية بكل التقدم الذى أحرزته العلوم ؟ وهل تكون المحاولة منطقية ؟ ألسنا إزاء أسرار عالم غير منظور مختلف عن

هذا العالم الذى يخضع لحواسنا ، ولا يمكن اختراقه بأساليبنا فى التحقيق الوضعى ؟»

ويستمر كامى فلا ماريون فى حديثه الذى يدرك منه القارئ أنه إزاء عالم فيلسوف متشكك ، مدقق فى بحوثه إلى أقصى مدى :

« والأمر متعلق بمصيرنا ، بقدرنا . بمستقبلنا الشخصى ، بوجودنا . وليس هو وحده العقل الفاتر الذى يتساءل ، ولا الروح وحدها ، بل أيضاً هو الإحساس وهو القلب .

وإنه لمن التفاهة الصبيانية وحب الظهور أن يخرج الإنسان إلى خشبة المسرح ، ولكن قد يكون الامتناع عن ذلك صعباً أحيانا . وبما أن ذلك يجرى بوجه خاص لمواجهة آلام القلوب الكسيرة ، التى لأجلها تابعت هذه البحوث المضنية ، فإنه يبدو لى أن التقديم المنطقى أكثر من غيره لهذا الكتاب ينبغى أن يصدر من بعض الأسرار التى لاتحصى ، والتى حصلت عليها منذ نصف قرن للوصول فى لهفة إلى حل لهذا اللغز »(١)

ويقول المفكر الفيلسوف ليون دنيز :

« إذا كنا نجىء من العدم لنعود إلى العدم ، وإذا كان نفس المصير ، نفس النسيان ينتظر المجرم والحكيم ، الأنانى والمخلص ، وإذا كان بحسب مفارقات المصادفة ينبغى أن يكون العناء وحده من نصيب البعض والسعادة والمرح من نصيب البعض الآخر ، وإذن فلنجرؤ على أن نعلن أن الأمل سراب ، وأنه ليس من عزاء بعد للحزانى ، ولا من عدالة لضحايا سوء المصير .

---

(١) عن كتاب « الإنسان روح لاجسد » جزء ثان ص ٥٢٧—٥٣٠ .

فالإنسانية تدور محمولة على حركة الأرض بغير هدف ، بغير وضوح ، بغير قانون خلقي ، مجددة نفسها بنفسها عن طريق الولادة والوفاة ، وهما الظاهرتان اللتان يتردد الإنسان بينهما . ويمضي غير تارك من أثر بعده إلا ما هو كضوء باهت في الليل .

وتحت تأثير مذاهب كهذه (يتحدث عن المذاهب المادية والإنكارية) ليس على الضمير إلا أن يسكت تاركا مكانه للغريزة الوحشية ، وعلى روح الوصولية أن تخلف النخوة . وحب المتعة أن يحل محل التطلعات الكريمة للروح . وعندئذ فلا يفكر إنسان إلا في نفسه . وبغض الحياة ، بل أفكار الانتحار ستجيء للاستحواذ على البؤساء . ولن يملك الفقراء إلا الحفيظة على الأغنياء ، وفي غمرة غضبهم قد يحطمون تحطيماً هذه الحضارة الفجة المادية .

ولكن كلا . . إن العقل والمنطق يثوران غاضبين محتجين ضد مذاهب اليأس هذه . قائلين إن الإنسان لايمكن أن يكون قد كافح وعمل وتألم كيما ينتهي إلى لاشيء ، وإن المادة ليست كل شيء ، فهناك قوانين أسمى منها ، قوانين للنظام والتناسق ، فليس الكون مجرد آلة لاوعي فيها .

فكيف يتأتى للمادة العمياء أن تحكم نفسها بنفسها عن طريق قوانين ذكية حكيمة ؟ وكيف يتأتى لها وهي مجردة من العقل ومن الشعور أن تنتج كائنات عاقلة ، شاعرة قادرة على أن تميز بين الخير والشر ، وبين الأمر العادل والظالم ؟ ماذا أقول ؟ إن الروح الإنسانية عرضة لأن تحب لغاية الفداء ، ومعاني الجمال والخير منقوشة فيها ، ومع ذلك يقولون إنها نابعة

من عنصر لايملك — فى أية درجة — شيئاً من هذه الصفات ؟ فهل نحن نشعر ونحب ونتألم، ومع ذلك فقد انبعثنا من مصدر أصم صلب صامت ؟! وبالتالى فنحن أكمل وأفضل من مصدرنا ؟

إن منطقاً كهذا هو عدوان على المنطق . فليس من الحكمة أن نقبل القول بأن الجزء يمكن أن يكون أسمى من الكل . أو أن الذكاء يمكن أن يجيء من مصدر غير ذكى. أو أنه يمكن أن يخرج من طبيعة لاهدف لها كائنات عرضة لأن تتابع الجرى وراء أهدافها .

إن الذوق العام يقول لنا على العكس من ذلك إنه إذا كان الذكاء ، وحب الخير والجمال ، كائنين فينا فينبغى أن يصلا إلينا من مصدر يملكهما بدرجة أعلى منا . وإذا كان النظام ظاهراً فى جميع الأشياء ، وإذا كانت هناك خطة تكشف عن نفسها ، فذلك لأن تفكيراً قد وضعها . ولأن عقلا قد رسمها . .»[1]

ويقول الدكتور جوستاف جيلى عن تطور وعى الإنسان بعد الموت « . . . وفى الفترة بين وجودين أرضيين . يعد الكائن المتطور تطوراً كافيا برنامجه للمستقبل ، وتفصل بين الحيوات . كما تفصل بين الأيام فترات للراحة الظاهرة . ولكنها فى نفس الوقت لحظات للجهد المثمر ، ولهضم مامضى وللاستعداد لما هو آت . وكما تبدو مشكلات كثيرة وقد حلها التوفيق عند اليقظة من النوم ، فكذلك يبدو الكائن فى مستهل حياته الأرضية مقوداً فى خطواته الأولى ، فيسير فى اطمئنان كما لو كانت تمسك

---

(١) عن كتابه « بعد الموت » Aprés La Mort ص ١٠٩ — ١١١ .

بزمامه يد ما فى الطريق الذى رسمه لنفسه والذى يجهله بمجرد ولادته ؛ ومع ذلك يسير فيه مغمض العينين.

هكذا الحال من وجود إلى وجود . وعن طريق فيض التجارب الكثيرة المسجلة المهضومة يصل الكائن شيئاً فشيئاً إلى الأوجه السامية من الحياة التى لايكفلها إلا التطور الكامل للوعى ـ أى عند تحقيق السيطرة عليه .

والسيطرة على الوعى ينبغى أن تمتد — كغاية مثلى — على الحاضر والماضى والمستقبل ، بمعنى أن تحقق نوعاً من الإحساس الغامض بالمستقبل الذى لايبدو مفهوماً الآن . ولكن مايمكننا بالأقل أن نصل إليه عن طريق المنطق هو حالة من معرفة الذات والكون متسقة بالقدر الذى يمكنها من إلغاء نسيان الماضى ، ومن السماح بالاستخدام المنظم والطبيعى للملكات السماوية ، وماوراء الروحية ؛ وبالتالى من رؤية معجزات التطور المتحرر السعيد ـ المنبثق فى النهاية من ظلمات الجهل ، ومن قيود الحاجة ومن الآلام الرهيبة » .

ويقول الأستاذ موريس ماجر فى كتابه Les interventions Surnaturelles. فى الصفحات من ١٢٠ — ١٢٣ مايلى :

« . . . وما يصفه الناس بالحظ ، أو الشعور بأن قوانين الكون إنما تحبك وتنظم نفسها كيما تحابيك ، هو عبارة عن هبة مجنحة وتجاوب فى النغم مع هذه القوانين التى لاتحبك إلا لأنك تركتها تحملك . وهذه

(١) عن كتابه « من العقل غير الواعى إلى العقل الواعى» De L'inconscient au conscient طبعة ١٩١٩ ص ٣٢١ — ٣٢٣ .

المبة المجنحة . وهذا المعنى من التناسق قد صار شيئا واحداً مع وعينا الأسمى . وللحظ صلة معينة بالعبقرية الفنية ، بل هو شقيق لها ، لكنه بدلا من أن يتفرغ لمطاردة الجمال ، يرضيه أن يرشدالإنسان فى طريق الحياة ، ويغمره بضوء مباغت سرعان ماينطفئ .

وهذا الضوء المباغت هو مصيرنا ، أو بالأدق هو القدر من مصيرنا الذى ينتمى إلينا خاصة ، والذى خلقناه بأنفسنا . فنحن مقيدون بجسد لأننا ننتمى إلى أسرة إنسانية . ونحن نخضع لتأثيرات كوكبية لأننا ننتمى إلى نظام كونى ، وعلينا أن نتحمل تحركاته العاطفية . ونحن مكيفون بماضينا وبأنفسنا ، وبالنتيجة المتواضعة لجهودنا ، ومقودون بكل هذه القوى . نحن نشق سبيلنا أحياناً فى ومضة من برق ، أو من قرار ، أو من صلاة ، أو من فكرة هى نحن أنفسنا ، وكل ذلك عبارة عن نتيجة لارتباطات ترجع إلى الماضى السحيق . فهل نجد فى ذلك وعداً بحريتنا المستقبلة ؟ أو تحقيقا مبدئيا لها ؟ وهل يمكن للإنسان أن يصف بالحرية نتاج أسباب متعددة كهذه ؟ وفى النهاية لاقيمة لذلك لأن خداع الحرية يساويها . .

إن إنساناً ماقد عثر على الحظ — على غير توقع منه أو من غيره ، لأنه قد أطاع أمراً داخلياً أصدره إليه — على غير علم منه — وعيه الأسمى الذى صنع ما كان عليه أن يصنعه كيما يكيف الأحداث فى صالحه .

فالحظ من صنعه غالباً ، ولكن ليس دائماً ، لأن الإنسان ليس بمفرده . فحتى إن لم توجد هناك قوى تسهر عليه بعناية ، فمن الجائز مع

ذلك أن يحظى بمساعدة قد يكون طلبها . وقد يزجيها إليه صديق غير منظور يرى حيرته . وتكون المساعدة عندئذ فعالة بقدر مايكون الصديق سامياً فى تدرج الكائنات . وأحسن الناس حظاً هو ذلك الذى يكون قد صنع فى ماضيه أكثر عدد من الصداقات مع أسمى الأرواح » .

أما هنرى برجسون (١٨٥٩ – ١٩٤١) الفيلسوف العظيم فقد انتهى إلى الروحانية العلمية الأصيلة العميقة ، بعد أن بدأ حياته مادياً صرفاً على مذهب سبنسر كما قال هو عن نفسه ، وكان تحوله عن المادية بفضل بحوثه التجريبية . وقد تولى رئاسة « جمعية البحث الروحى » بلندن عام ١٩١٣ . ويكفى أن نشيد بذكره هنا بما قاله عنه الدكتور زكريا إبراهيم فى تصدير كتابه عن برجسون : « ليس هناك أكثر مما كتب عن برجسون فى اللغات الأجنبية ، فإن عدد ماظهر من البحوث والدراسات عن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف . . . » . وبما وصفه به الأستاذ يوسف كرم فى كتابه « تاريخ الفلسفة الحديثة » إذ يقول : « يعد أكبر فيلسوف ظهر فى فرنسا من عهد بعيد . ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق فى هذا النصف الأول من القرن العشرين . وقد كان نفوذه واسعاً وعميقاً ، فقد أذاع لوناً من التفكير ، وأسلوباً من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزها إلى الأدب »[١] .

يقول برجسون فى محاضرة ألقاها بباريس فى ٢٣ من إبريل سنة ١٩١٣ ، موضحاً الصلة بين انتفاء الارتباط المحتوم بين الوعى والجسد ،

---

(١) عن « تاريخ الفلسفة الحديثة » ١٩٦٢ ص ٤٤٩ .

وبين دوام الحياة بعد موت الجسد المادى :

« إذا كانت الحياة النفسية ، كما حاولنا أن نبرهن على ذلك ، تضفو على الحياة الدماغية ، وكان الدماغ لايزيد على أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى فى الشعور ، فإن البقاء يصبح عندئذ معقولاً جداً ، بحيث يقع واجب البرهان بعد ئذ على عاتق من ينكر لاعلى عاتق من يدعى ، لأن الباعث الوحيد الذى يدعو إلى الاعتقاد بفناء الشعور بعد الموت هو رؤية الجسم يفنى . ولايكون لهذا الباعث قيمة إذا كان استقلال جل الشعور إن لم يكن كله عن الجسم ، ظاهرة مرئية هى الأخرى . . »
ثم يقول عن معالجة مسألة البقاء بعد الموت عن طريق الملاحظة « إنها تؤدى إلى نتائج تقريبية فحسب ، إلا أنها قابلة لأن تصحح وتكمل باستمرار ، فهى لاتهدف فى أول الأمر إلى غير الاحتمال ، ولكنها إذ تسير فى طريق يزداد فيه الاحتمال باستمرار تفضى بنا شيئا فشيئاً إلى حالة تكاد تعدل اليقين » ، ثم يقول إنه بين هذه الطريقة وطريقة التفكير المحض الذى يرمى إلى نتيجة نهائية قد تم اختياره للطريقة الأولى دون غيرها ، «وكم يسعدنى أن أوفق إلى المساهمة ولو قليلا فى توجيه اختياركم »(١)

ويقول فى كتابه « ينبوعا الأخلاق والدين » الطبعة ٥٨ سنة ١٩٤٨ ، الفصل الثالث فى ص ٢٦٦ — ٢٧٠ مايلى :

« إن الله محبة ، وهو موضوع محبة ؛ فى هذا وحده تنحصر كل

---

(١) عن « الطاقة الروحية » لبرجسون ترجمة الأستاذ سامى الدروبى ص ٥٠ و ٥١ .

رسالة الصوفية . ولن يفرغ الصوفى من الحديث عن هذا الحب المزدوج إلى أبد الآبدين . وإذا كان وصفه لايعرف حداً ولا نهاية ، فذلك لأن الشيء المراد وصفه هو مما يعقد الألسن ، أو مما لايمكن التعبير عنه . ولكنه مع ذلك يفصح بجلاء عن هذه الحقيقة ، ألا وهى أن الحب الإلهى ليس شيئا من الله ، بل هو الله نفسه . إلى مثل هذا الرأى لابد أن يتجه الفيلسوف الذى يرى فى الله شخصا ، وإن كان لايريد مع ذلك أن يقع فى تشبيهات مبتذلة . . . إن الحب لهو فى نظر الصوفى بمثابة ما هية الله . ولكن هل لهذا الحب موضوع ؟ . . هنا نجد أن الصوفية مجمعون على أن الله فى حاجة إلينا ، كما أننا نحن فى حاجة إليه . ولماذا يكون الله فى حاجة إلينا ، إن لم يكن ذلك بقصد حبه إيانا ؟ تلك إذن هى الخاتمة التى لابد أن ينتهى إليها الفيلسوف فى تعلقه بالتجربة الصوفية . وعند ئذ لابد أن يبدو له الخلق مهمة إلهية أراد بها الله أن يخلق كائنات خالقة ، حتى يضم إليه موجودات تكون جديرة بمحبته »(١) .

ويقول : « على الفيلسوف أن يذهب إلى حد أبعد مما يذهب إليه العالم ، فإذا صرف النظر تماما عما ليس سوى رمز خيالى رأى أن العالم المادى ينحل إلى مجرد تيار وسريان متصل وصيرورة .. وهكذا سيتخذ أهبته للعثور على الديمومة الحقيقية فى المجال الذى يكون العثور عليها فيه أكثر فائدة ، أى فى مجال الحياة والشعور . .

---

(١) عن « التطور الخالق » ترجمة الدكتور محمود محمد قاسم ص ٣٠٦ و ٣٠٧ .

« فإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو لم تنحصر فحسب فى عودة الروح إلى نفسه ، أو فى التطابق بين الشعور الإنسانى والمبدأ الحى الذى يفيض منه ، أو فى الاتصال بالمجهود الخالق ، وإنما هى التعمق فى الصيرورة العامة وهى المذهب التطورى الحق ، ومن ثم فهى الامتداد الحقيقى للعلم ، ولكن بشرط أن يفهم العلم على أنه يضم مجموعة من الحقائق المشاهدة ، أو تلك التى قام البرهان عليها »[1] .

ونختتم هذه الأحاديث المقتطفة من أقوال هؤلاء العلماء الفرنسيين عن الروحية والعالم الآخر ببعض أحاديث من عالم كبير له مكانته المرموقة فى هذا المجال هو شارل ريشيه Charles Richet . (١٨٥٠ — ١٩٣٥) ، وكان عالما وأستاذا للفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة باريس منذ سنة ١٨٨٧ ، وحصل على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا فى سنة ١٩١٣ . واختير فى سنة ١٩٠٥ رئيسا « لجمعية البحث الروحى » بلندن . وقام ببحث الظواهر الوساطية تفصيلا فى مؤلفاته التى أهمها « مطول ماوراء الروح » الذى أودعه كتقرير فى أكاديمية العلوم فى ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ . كما قام بإجراء آلاف التجارب التى اقتضى بعضها استدعاء الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو من بلادها فى سنة ١٨٩٤ وسجل فى حضورها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ظاهرة ، وعزف آلات ، والقيام بأعمال نحت عن بعد ، وهى نفس الظواهر التى شاهدها فى حضورها كل من العلماء دوكورويز ومايرز ولودج وهنرى سد جويك وكامى فلاماريون وغيرهم .

(١) عن « برجسون » للدكتور زكريا إبراهيم ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

ولشارل ريشيه مؤلفات كثيرة ، وله نشاط كبير فى البحوث الروحية ونكتفى هنا – لضيق المقام – بتسجيل بعض أقواله وآرائه فيما يلى :

فى مجلة الطبيعة Nature كتب ريشيه تحت عنوان « العلم الروحى » يقول : « إن الروح يمكن الوصول إليها بقوى تكشف لنا عن حقائق لايمكن أن يظهرها النظر أوالسمع أواللمس»

كما كتب بعد حوالى ثلاثين عاماً من البحث فى أمور ماوراء الروح يقول : إنى – مغلوبا على إرادتى – على أن أقرر فى النهاية أن التفسير الروحى هو النظرية الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر جميع نتائج هذه البحوث » .

وفى كتاب « ثلاثون سنة من البحث الروحى » الذى ظهر سنة ١٩٢٣ قال ريشيه معتذراً عن بعض آرائه السابقة : « إن عبادة الآراء السارية كانت أمراً سائداً فى ذلك الزمن ، فلم تبذل جهود فى تحقيق آراء كروكس أو فى رفضها ، واكتفى الناس بالسخرية منها . وإنى لأعترف فى خجل بأنى كنت مع العميان عامداً متعمداً . فبدلاً من الإشادة بشجاعة رجل علمى ممتاز اجترأ إذ ذاك (فى سنة ١٨٧٢) أن يجهر بأنه توجد حقيقة أشباح وأرواح يمكن تصويرها بالكاميرا ويمكن سماع قلوبها وهى تنبض – بدلا من هذا سخرت منه» .

ويمضى ريشيه يقول عن ظاهرة تجسد الأرواح : « لدينا بينات طيبة على أنه ينبغى أن يكون لهذه التجسدات الاكتو بلازمية مكانها ومقامها بوصفها حقيقة علمية . ولاريب أننا قد لاندرك كنهها ، لكن

من السخف العريق أن نعتبر الحق سخفاً . ولا أنكر أن الروحيين لاموني على التعبير بكلمة « سخف » هذه ولهم عذرهم ، فهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن جهري بصحة هذه الظواهر كان في الحقيقة إيلاماً لي .

وفي الواقع أنك حين تسأل فسيولوجياً أو فيزيقيا أو كيماوياً أن يجهر بأن القالب الجسماني الذي يكون له دورة دم وحرارة وعضلات . . والذي ينفث غاز ثاني أكسيد الكربون ، والذي له وزن — والذي يتكلم ويفكر — أقول إنك حين تسأله كيما يجهر لك بأن هذا القالب يمكن أن يخرج من جسم آدمي آخر ، إنما تسأله مجهوداً عقليا مؤلماً . نعم إنه خارق للعقل ، ولكنه أمر واقع » . .

وفي سنة ١٩٢٧ نشرت جريدة La Comedia الفرنسية آراء كبار العلماء في شأن الحياة بعد موت الجسد ، فقال ريشيه مخاطباً محرر الجريدة : « سأجيبك في صراحة تامة ، إنني أحياناً كنت أصدق وأحيانا أخرى كثيرة كنت لا أصدق ، إذ كيف يستطيع فسيولوجي أن يدرك أن هناك بعد الموت وعياً يبقى دون مخ ؟! ولكن من جهة أخرى كيف يستطيع إنكار الحقائق الروحية التي تقدم من الوجهة النظرية تفسيراً أبسط من أي تفسير آخر ؟ »

وكان ريشيه يسلم بالظواهر الفيزيقية الوساطية ، وبوجود تأثير مباشر للعقل في المادة الصلبة . وينسب هذه الظواهر إلى قوى عاملة إنسانية الأصل أو المصدر . بل لقد قرر ريشيه صراحة أن : « ثمة براهين كثيرة على أن التجسد سوف يحتل مكانه على أنه حقيقة علمية . إننا لا نفهمه تماماً ، إنه شيء

غامض ، لكن هذا الغموض لا يهم لأن التجسد شيء حقيقي » (١) .

وليسمح لى القارئ الكريم أن أكتفى بهذا القدر من الأحاديث لندخل فى الكلام عن الحركة الروحية الحديثة فى بلادنا .

---

(١) وقد نجح ريشيه فى التقاط عدة صور مجسمة لروح متجسدة تحت أدق سبل الرقابة (راجع للتفاصيل « الإنسان روح لا جسد » . جزء أول ص ٣٤٠ - ٣٥٧) .

الفصل الخامس

الحركة الروحية الحديثة فى مصر

بدأت الحركة الروحية الحديثة فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر، عندما قام بعض العلماء من مصريين وأجانب بدراسة ظواهرها الغريبة فى ضوء قوانين العلوم الثابتة درساً عملياً تجريبياً ؛ لايبتغون من وراء ذلك غرضا شخصياً أو نفعاً مادياً ، بل تحدوهم الرغبة الجادة لكشف حقائق ذلك العالم الروحى الغريب . وهم يتواضعون فى مطالبهم ولا يدّعون عمل العجائب والخوارق ، بل يقنعون ببحث ما يبدو لهم من الظواهر الغريبة ، ولو كانت أموراً جزئية لاتوجب الدهشة والاستغراب . . ومضوا يعملون ويدرسون ويكوّنون الجمعيات ويعقدون الجلسات . وقد يكون هذا عجيباً فى عصر المادة والميكانيكا ، عصر الذرة والكهرباء . . هذا العصر الذى أفسح المكان لآراء نظرية يتناقض كنهها مع علوم العصر كل التناقض ، ويبتعد عنها بعد الثريا عن الثرى . ولكننا أمام مولد للحياة ، ولابد لشمس الحياة أن تشرق برسالة الروح لغزو هذا العالم ، هادفة إلى قهر النزعة المادية ، وأنصارها من الماديين فيه ، لخيرهم . فهى رعاية وحجة ؛ رعاية له من الانسياق إلى الهلاك ، وحجة تقام عليه بما كسب .

ولئن كانت الحركة الروحية فى مصر قد نشرت فعلاً بين الطبقة

المثقفة ، أفكاراً كريمة ، وجانباً مشرقاً من المعارف ، فهناك عدد غير قليل من الدوائر المنزلية ، والجماعات الخاصة، يحاول الإفادة منها .

ولقد ازدهرت الحركة في أرض مصر ، على أيدى أعلام من أئمتها ، وشيوخ من بيئتها نذكر منهم :

الشيخ طنطاوى جوهرى :

وكان أستاذاً بدار العلوم ، ثم اختير ضمن هيئة التدريس فى الجامعة المصرية القديمة حين إنشائها . وكان من أبرز أعضاء « دائرة القاهرة الروحية » وقاراً وعلماً وتقوى . له عدة مؤلفات قيمة فى التفاسير . ومن مؤلفاته التى يعتد بها فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده « كتاب الأرواح » الذى ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩١٨ ، وفيه يدافع عن الروحية ، ويدفع كل شبهة قد تجىء من ناحيتها . ولقد ترجم فى هذا الكتاب عدة صفحات عن العالم أولفر لودج خصوصاً من كتابه « رايموند» . ورايموند هذا هو ابنه الذى قتل فى الحرب العالمية الأولى ، وكانت روحه تحضر فى جلسات أولفر لودج المنزلية وتحادث والديه . وهذا مما يؤيد إيمان طنطاوى جوهرى بالرأى العلمى إلى جانب الرأى الدينى . كما ترجم أيضاً فى عشرين صفحة كاملة نص المحاضرة العميقة التى أملتها روح جاليليو متحدثة فيها عن معنى الزمان والمكان .

وقد نقل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى « كتاب الأرواح » أيضاً طرفاً من بحوث آلان كاردك مبيناً كيف أن ما بها من تعاليم خلقية

سامية ، ومن تفاصيل دقيقة عن الثواب والعقاب ، تتفق مع التعاليم الدينية ، ومدللاً على ذلك بقدرة الفقية المتبحر ، والعالم صاحب التفاسير القيمة التى ينظر إليها فى العالم الإسلامى كله بعين التقدير التام .

ولعل فى مسارعة مثل الشيخ طنطاوى جوهرى ، الكتابى المسلم ، والصوفى الموحد ، والإمام الثقة ، والناسك العامل ، إلى تلبية نداء الرسالة الروحية الحديثة ، أبلغ آية على عظمة الرسالة الروحية ، وما يمكن إفادته منها لسائر الناس من كل دين .

محمد فريد وجدى :

ومَنْ من المثقفين فى جميع الأقطار لايعرف فريد وجدى صاحب « دائرة معارف القرن العشرين » . . وقد يكفى للتعريف به كلمة المستشرق الألمانى بول كراوس التى يقول فيها : « خلقت كلمة أديب له . . وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق إيمانه وصدق إسلامه .. وإيمانه بالله يضىء له ظلمات الفكر . . وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه . . »

ولقد أصدر فريد وجدى أول مجلة عربية تبحث فى الشئون الروحية الحديثة بعنوان « الحياة » . وكان ينشر إلى جانب ذلك بحوثه فى الروحية فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ومنها جريدتا « الدستور » و « الأهرام » ومجلتا « الهلال » و « المقتطف» ، ومجلة الأزهر التى كانت تصدر فى سنة ١٩٣٤ والتى كان يرأس تحريرها حتى سنة ١٩٥٢ .

وظهر له كتاب قيم فى أربعة أجزاء صغيرة بعنوان « على أطلال

المذهب المادى »، وقد وفق فيه فى عرض هذا الموضوع من عدة جوانب له . وقد كتب فى مقدمته :

« . . . وإنى ما وقفت سنين كثيرة من حياتى العلمية لاستقصاء هذه المباحث إلا لأنها حادث جلل فى تاريخ العلم العصرى سيكون من أثره تعديل مزاج الفلسفة العصرية ، وتكميل بناء المدركات البشرية على المادة والروح معاً » .

أحمد فهمى أبو الخير :

كان مراقباً عاما للسينما التعليمية « بوزارة المعارف العمومية » ، وكان يمارس قبل ذلك تدريس مادة « الطبيعة » . شغلته البحوث الروحية على إثر قراءته لكتاب « على حافة العالم الأثيرى » للعلامة چيمس أرثر فندلاى ، فترجمه إلى العربية . ثم ترجم كتاباً آخر للدكتور أدوين فردريك باوز الأستاذ بجامعة مينيا بوليس بأمريكا بعنوان «ظواهر حجرة تحضير الأرواح» وظهرت له عدة مؤلفات قيمة منها : « ظواهر الطرح الروحى » و« السيكولوچيا والروح » و« العجيبة الثامنة » و« أرواح وأشباح » . وكان يصدر بانتظام مجلته الشهرية « عالم الروح » منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ثم احتجبت بعد صدور عدد أغسطس ١٩٦٠ باحتجاب صاحبها فى «عالم الروح » صحيفة مسطورة فى سجل الأبرار المجاهدين .

وكان المرحوم الأستاذ فهمى أبو الخير نشيطاً فى خدمة القضية الروحية عن اقتناع بها ، وكان كاتباً مجيداً ومحاضراً لبقاً .

السيد رافع محمد رافع :

رائد ورئيس «الجمعية الروحية الإسلامية» ، وهو من مواليد سنة ١٩٠٣ ، علمائها الدوحة المحمدية ، وقد تهيأ لذلك فى بيئة التصوف مع رواد له ، ثم فى بيئة الروحية ، مطلوباً لها ، من أرواح راقية بعد فترة من المجاهدة فى مجال الخدمة العامة ، هيأته للغيرية ، وإنكار الذات . إذ كان قبل ذلك يشغل وظيفة مستشار جمهورى فى الحكومة المصرية . ولا نسرف فى القول إذا قلنا إن قيام جمعيته هذه ، يعتبر حدثاً هاماً فى تاريخ الحركة الروحية الحديثة ، كما يعتبر حدثاً هاماً فى تاريخ التصوف .

ولقد رأينا فعلاً أن فى بيئة هذه الجمعية يتوفر للصوفى ، كما يتوفر للروحى ، تحقيق أحلامه وأمانيه . فالروحية لا تتوفر لمن لا يتأدب بآداب الصوفية ، والتصوف لا يستقيم إلاّ بفيوضات ومعارف الروحية .

الدكتور على عبد الجليل راضى :

يعتبر الدكتور راضى رائداً من رواد الحركة الروحية فى مصر وأحد أئمتها . وهو أستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، ولقد لقى فى سبيل خدمة قضية الروح كثيراً من العنت والرهق . وقد أنشأ « دائرة الأهرام الروحية » . وله عدة مؤلفات قيمة منها : « حياة محمد الروحية » و« سفير الأرواح العليا » و« العالم غير المنظور» و« أضواء على الروحية » . كما نقل إلى اللغة العربية عدة كتب أخرى منها « ثلاثون سنة بين الموتى » و« أرواح مرسلة » و « قصة أول فرعون » .

* * *

وبالرغم مما تهدف إليه الروحية الحديثة من إيصال الخير بكافة ألوانه للإنسانية بكافة ألوانها ، وماتدعو إليه من تهيئة السبيل لتحقيق حياة أصدق سعادة ، وأوفر سكينة ، وأقوم مسلكا ، وأتم فضلا ، وأقرب سلاماً ، وأسعد أمناً ، وأكثر إنتاجاً ، وأغنى كفاية . . وبالرغم مما تسعى إليه من العمل على توفير أسباب الصحة والسلامة للناس ، فتقدم لهم خدمة مباشرة بمعالجة الأمراض المستعصية على كفاية الطب البشرى ، كما تعالج الظواهر المرضية بالجسم الفيزيقى ، بمعالجة أمراض الجسد الأثيرى . .

بالرغم من ذلك فما زال المجهود الجماعى مفككا مشتتاً ، فهى لازالت فى مهدها . ومازال أغلب الناس فى جهل بها ، أو عزوف عنها .

وهى بمعزل عن بيئة الثقافة والبحث والتجربة العلمية ، وبيئة أهل العقائد بصورة جديرة بها ، ولازال المشتغلون بها يركنون إلى تجارب الغرب ، وتعريفه بها ، فهى فى سيرها الوئيد الآن تلاقى من العنت والمخاصمة من أهل الجمود الفكرى ، ومن المتزمتين ، والنفعيين حرباً لاهوادة فيها ، سلاحها الجهل والتعصب والمكابرة ، كما تلاقى من المشتغلين بها ، من الصديق الجاهل مايتضاعف أثره عن خصومها فى الحيلولة بين الناس والإفادة منها .

ثم إن هناك عيباً رئيسياً فى مسلك المشتغلين بالروحية الحديثة عندنا ، هو أننا لايمكن أن نقول بأن لها فلسفة خاصة بها . فكل شىء تقريباً يقع تحت هذا العنوان إنما هو مقتبس من شىء آخر . وبعض المعترضين على الروحية عندنا من جميع الأديان لايعتبرون الروحية من الدين إطلاقاً .

ومن المؤسف حقاً أن نتعرض هنا للخلاف القائم بين الروحية والصوفية مع أنهما تلقنان وتعلمان وتدعوان إلى شيء تتفقان عليه وهو وجود «عالم الروح» .

ومع أن كثيرا من الروحيين يميلون إلى اعتبار هذا «السمرلاند»(١) Summerland كما يسمونه ، كمرحلة أو درجة متطورة فإنهم مع ذلك حريصون على الإشارة إلى أن هناك فرصاً « للتنمية » لاحقة يعرّفها الصوفيون بالعالم الكوكبي Astral ويبشرون بما وراءه من درجات عالية كثيرة . ومن هذا يبدو لنا أن الصوفي يتناول بالأحرى مشهداً أوسع ، وأن كلاهما على حق في المستويات والآفاق الخاصة به ، ومن هنا نجد ثمة فرصاً للتعاون الوثيق بين الحركتين .

ومهما تكن الأمور ، ومهما يكن اختلاف وجهات النظر والمسلك الذى نجده عند الباحثين أو عند الفرد في فلسفة أو خلال احتياجه إلى فلسفة ، ففي الروحية لايستطيع أحد أن ينكر أن الروحي الفعّال إنما هو شخص لايفرغ من عمل ولا ينتهي من شغل ، فهو دائم الحركة . . لاتسمح حالته بالسكون ولا بالوقوف . . وإنه لينسعى جاهداً سعى المستميت للوصول إلى الحقيقة .

---

(١) « مستوى السمرلاند » وصف اصطلاحي يطلق عليه أيضاً « المستوى الثالث » ، ومعنى « سمرلاند » أرض المصيف وهى كناية عن بيئة المرح والجو الجميل .

الدوائر المنزلية :

وكان لانتشار الدوائر المنزلية أثرها الكبير فى نشر رسالة الروحية فى مصر . وفى هذه الدوائر تجتمع جماعات من المشتغلين بالروحية فى فترات منتظمة وفى أوقات معلومة « للتنمية » أو « للترقى » أو « للجلوس » مع وسيط . وتقوم بعض هذه الدوائر بعملها على أحسن وجه ، وبعضها لايؤدى عمله كما يجب . والفكرة فى حد ذاتها جميلة ومفيدة ، وإن لها لمستقبلاً باهراً فى الأجيال المقبلة . وجدير بالذكر أن أية دائرة يمكنها أن تبدأ جلساتها حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة معاً ، ولالزوم البتة لغرف خاصة ولا لأثاث خاص .

وحتى تكون الدائرة على أتمها من الاستعداد للعمل ، يجب أن يكون العضو متدربا متعلماً قادراً على ضبط النفس وتركيز الفكر ، وجعل العقل هادئاً بعيداً عن أى شيء آخر . ولن نتعرض لمسألة تنمية المواهب الروحية فهى غير ذات موضوع هنا . ولكننا يمكن أن نقول إنها لن تعطل ولن تنكر ، ولكن لابد لمثل هذه القوة العقلية وهذا الذكاء المقتدر أن يظهر تدريجيا ، وينظر إليه بالأحرى على أنه شيء سيبرز فى الوقت المناسب .

وتختلف الدوائر فى أغراضها وأهدافها . وقد قام بعضها من أجل تنمية بعض نماذج خاصة من الوساطة . ومع ذلك فهناك درس يجب أن يلقن فى التوافق والتناسق . وكم من جماعة بلغت درجة كبيرة من النجاح ولكنها لم تتوصل إلى الكشف عن بعض الظواهر . ومع ذلك فإن نفس

هذه الجماعات خدمت أغراضاً عظيمة ذات نفع وأكثر مما حصلت عليه من النماذج المختلفة من الأطياف الفيزيقية .

ومعظم الدوائر المنزلية الخاصة بالحركة الروحية إنما تتكون وتجتمع من أجل غرض واحد كما قلنا ، وهو تنمية الوساطة . فى بعض الأحيان تكون الجلسة عبارة عن بعض إجراءات من شأنها الاستنارة والتثقيف عن طريق خطاب أوحديث أورسالةغيبوبية Trance message يلقيها روح « مرشد » . وتختلف هذه الرسائل والأحاديث بطبيعة الحال فى الرضا والسخط ، من عبث وهراء لاينطوى إلاّ على جهل ، إلى تعاليم وأحاديث شائقة ، ممتعة ، ذات فائدة كبيرة .وفى بعض الأحيان ، وكثيراً ما يحدث الآن ، يتم تسجيل مقطوعات أدبية فذة ، أو قصائد من مستوى بالغ فى السمو والرقة ، كالقصائد التى وردت متدفقة من روحى شاعرينا العظيمين المرحومين أحمد شوقى وحفنى ناصف . ولقد أتينا بكثير من قصائد الموحوم شوقى كنموذج فى فصل لاحق . وكالقصيدة الرائعة التى جاءت من خلال وساطة أوليفرفوكس بعنوان The Farewell Song of the Soul ونشرتها مجلة The Qquarian فى عددها الصادر فى يناير ١٩٤٨ ، وغير ذلك كثير وكثير مما يضيق عن ذكره المقام .

ولست أنوى أن أدخل مع قارئى العزيز فى تفصيلات أو مناقشات عما إذا كان « الكائن المهيمن » هو فى الحقيقة « مرشد » أوأنه شخصية ثانوية للوسيط ، أو أى شىء آخر . إلاّ أننى ، مع ذلك ، أقول إن الدائرة إذا كانت مرتبة ومنظمة بمهارة، وكانت على درجة كبيرة من التوافق

والانسجام والأمانة : عندئذ ستكون هذه « الرسالات الغيبوبية » من الأهمية بمكان . فهى والحالة كذلك تستحق بكل تأكيد الاهتمام بالاستماع إليها . ويأخذ العمل فى الدائرة مقياسه من وحدة قياس الجماعة ككل، فإذا كانت الاجتماعات غير مرضية فلا لوم إلا على الأعضاء أنفسهم .

ومما يجدر ذكره هنا بشأن الدوائر المنزلية والجماعات الروحية فى مصر ، أنه قبل الحرب العالمية الأولى ، وبالتحديد عام ١٩٠٧ تألفت فى جهة الإبراهمية برمل الإسكندرية جمعية محدودة روحية مكونة من عدد قليل من الأصدقاء ذوى الثقافة العالية.

وكانت هذه الجمعية تعقد جلساتها فى مواعيد منتظمة فى منزل أحد أعضائها ، وتدون محاضر جلساتها فى سجل خاص. وحدث أنهم فى إحدى الجلسات سألوا الروح المهيمن على جلستهم عما إذا كان هناك سكان فى كواكب أخرى غير الأرض فأجاب الروح بأن هناك فعلاً كواكب مسكونة فسألوا عما إذا كان من الممكن الاتصال بروح عالم من هؤلاء السكان

وفى جلسة تالية بعد بضعة أيام حضر الروح المهمين ومعه روح منهم قال إن اسمه «زهوهين» Zhohean وسألوه فى عشرات الجلسات أسئلة فلكية عن الحياة على ذلك الكوكب فأملى عليهم من المعلومات ما اجتمع فى كتاب سموه « أثانا سيا Athnasia » وهى كلمة يونانية معناها « الخلود » ، كان جميعه من تأليف تلك الروح ولم يتدخل فيه أى من الحاضرين ، وطبع الكتاب فى القاهرة عام ١٩١٢ .

ويتكون هذا الكتاب الكبير من قسمين ، القسم الأول فى ١٢٥ صفحة ، مقسماً إلى أبواب تبحث فى علم الفلك والكون وتكون الكواكب وقشرتها والنظام الشمسى والضوء العالمى والشمس والأرض والقمر . وعن نجم اسمه هيرميز Hermes وتوابعه ، والزهرة Venus والمريخ ، وأنصاف كواكب (Demi — planets) ونجم اسمه زفير Zephyr ، والمشترى Jupiter ، وكوكب اسمه كرونس Kronos ، والدوائر التى حوله . ونجم اسمه هوراس Horas ، وكوكب أورانوس ، ونجم يوزيدون ، وبرج العذارى ، وبرج العقرب وبرج زيوس ، وعن النيازك والسدم والنبات .

ويحتوى القسم الثانى على أكثر من ١٠٠ صفحة بها جغرافية ذلك المكان وأسماء قاراته وبحاره وبعض جباله ومعالمه فى دقة متناهية ، ثم وصف سكانه وما وصلوا إليه من حضارة ومعرفة ، وما انتهت إليه حضارتهم من إلغاء الحروب والمنازعات ، ومابه من طبقات عاملة وطبقات مفكرة طبقاً لمواهبها واستعداداتها بلا تمييز .

وقد كتب أحد أعضاء هذه الجمعية مقدمة لهذا الكتاب ، ومما جاء بها قوله :

« ليس للفضاء حدود ، فهو لانهائى لا أول له ولا آخر . به عوالم يليها عوالم ، وشموس تليها شموس ، وأفلاك تليها أفلاك — ملايين من النجوم تتلألأ فى زرقة الفضاء أشبه بستار للانهاية — وحينما يتمعن الإنسان فى الفضاء فى ليلة تتلألأ نجومها يسجد لله قائلاً مع داود النبى « ما أعظم

أعمالك بحكمة صنعت» . القبة السماوية هى الكتاب المحتوى على اللغز الأبدى ، وصفحاته لايقرؤها غير القليلين . وفى قراءة صفحات هذا السفر الأبدى دلّنا الروح زوهين — الذى عرّفنا به روح كبير هو روح القديس غريغوريوس — على هذا الروح الذى اتصلنا به ونظن أنه شىء فريد من نوعه ، ولم يحدث من قبل فى عالم البحث الروحى ، أو نحن على الأقل لم نسمع ولم نعرف عن مثل هذا الاتصال من قبل .

وقد أخذت هذه الصفحات فى جلسات استغرقت ثلاث سنوات [١] وهى فتح طريق جديد فى عالم الفلك يوسع حدود علم الفلك ويرينا الشمس فى شكل جديد . ويرينا مركز ومسير الأجسام السماوية المختلفة . ويكشف لنا عن سكان الأكوان الأخرى وبعضهم أرقى منا نحن سكان الأرض والبعض الآخر أحط منا . ويتكلم عن رقى سكان تلك الأكوان ومن ذلك قوله عنهم حرفيا «أما عن العلم الفلكى لديهم فإن سكانه أتموه وطووا الكتاب ثم سجدوا أمام خالقهم مسبحين خالق الكون الحكيم .

« وأشدّ مافى هذه النظريات غرابة ماجاء عن الشمس والأجسام المضيئة من تلقاء ذاتها . فهى نظريات جديدة وغريبة ولكنها مشروحة بدقة . أما نحن فمع أننا لانفهم هذه الأشياء كثيراً ، ننشرها بدون أى تعليق . وننشرها كما وردت لأهميتها ولأول مرة ، ولاحترامنا للروح التى أملتها . ولانستطيع أن نبدى فى هذه الآراء فكرة ، ونعترف بأننا لانستطيع أن نفهمها

---

(١) تم إملاء الكتاب فى الفترة بين ٢٠ يونية ١٩٨٠ حتى آخر يوليو ١٩١١ .

لقلة إلمامنا بعلم الفلك ، ونترك لعلماء الفلك مناقشتها . والشيء الوحيد الذى استطعنا أن نعرفه جيداً هو أن فى كل مكان من هذا الكون نجد مكتوباً اسم الخالق بحروف لاتمحى» .

فليت هناك من يقوم لنا بترجمة هذا الكتاب العجيب إلى اللغة العربية لما يحتويه من فصول شيقة ومعلومات طريفة لانزال حتى الآن فى جهل بها . لاسيما فى هذا العصر الذى يهتم فيه العالم أجمع بالفضاء وبالرحلات إلى الكواكب ، حتى لقد أرسلت بالفعل بعض سفن فضاء إلى الزهرة ، ولا نعرف حتى اليوم ماإذا كانت هذه الكواكب مسكونة أم لا؟

تعاون أعظم :

قصارى القول إننا يمكن أن نصرح بأننا نؤيد وندافع عن التعاون والترابط الذى يجب أن يكون بين الروحية والعلوم الغامضة (الغيبية) . فالروحية ، كما رأينا ، إنما هى منفذ – بعيد عن المذاهب المبتذلة والعقائد التافهة التى لايعمل بها – إلى الحقيقة .

وليس هناك من شيء يتم اكتماله مرة واحدة ، فهى لذلك تحفظ أشياء كثيرة من أن تزول وتختفى ، بعد حين . إنها ليست حركة عقلية intellectual ، فهى لن تجتذب إليها « العقليين » ؛ ولكنها بالحرى ، واحدة من أكبر وأعظم « الممرات » التى توصل إلى معلومات حيوية . وهى من هذه الجهة ، بجانب عظيم قيمتها ، تحقق فائدة هامة . .

والروحية فى حاجة كذلك إلى معاونة فى جانبها الفلسفى ، فهى حينما

تنال شيئاً فى مجالها ، ستبقى «التجربة» وتتحسن فى كل مكان . ولقد أصبحت العلوم الغامضة والصوفية حركتين عقليتين ، ويمكنهما تقديم هذه المعلومات مشترطتين أن تقدماها بطريقة مقبولة مستساغة . والروحية ، بدورها ، يمكن أن تتقدم للدوائر المنزلية كجهاز بديع للتنمية الذاتية للمشتغل بالعلوم الغامضة ، ولتدريب تلاميذه ومريديه . وما يزال هنا حتى اليوم فرق بسيط روحى بين المنتمين إلى الحركتين ؛ فالروحيون يمكن أن يتحدثوا عن « المرشد » ، والصوفيون عن « الأستاذ » أو « الرائد » أو « الإمام » . أما نفس الاتجاهات فإنها واضحة صريحة فى كل من الجانبين ، بالرغم من وجود هذه المعرفة أو عدم وجودها .

وليس من الخير أن نرى وجود « الأسمى » Superior فى شيء ما ، ونرغب فى أن يكون على حالته . فعلينا أن نتناول الأشياء من حيث نجدها ؛ ويمكننا فقط أن نفعل ذلك إذا كنا نتحدث بلغة مشتركة . فهل لنا أن نطلب من المشتغلين بالروحية أن يهتموا بالنظريات الجافة عن العلوم الغامضة التى تبدو بالنسبة لهم كما لو كانت « رطانة » غير مفهومة ومن المشتغلين بالعلوم الغامضة أن ينسوا جهل الروحيين بما يختص بالفلسفة العقلية ؟ وذلك حتى يتحدد كلاهما ، ويتعاونا معاً ، كيما يفسح « الإنسان المشترك » لنفسه طريقاً ، ويتقدم من خلال هاتين الحركتين معاً بخطى حثيثة من قوة إلى قوة ؟

إننا فى عصر البحث العلمى : عصر البحث التركيبى synthesis . . نعم ؛ وهذا مجال على جانب كبير من الأهمية ، حيث ينتظرنا واجب

كبير للإنجاز . فلا ينبغى أن يتصور أحد الطرفين أن البحث التركيبى معناه تحويل أو تغيير الجانب الآخر بالجانب الأول .

إن الصبر ، والسماحة ، وطول الأناة ، والرغبة النقية الخالصة لتفهم وجهات النظر الأخرى ، هى التى يمكن أن تؤدى جميعاً إلى التعاون الوثيق المطلوب . والشيئان حينما يرتبطان ببعضهما فإنهما يساويان هذين الشيئين زائد إضافة صغيرة . والناس الآن إنما يمرون ويتنقلون إما من الروحية إلى العلوم الغامضة ، وإما العكس ، وإما بتركهم إحداهما والانضمام إلى الأخرى . وقد يكون هذا بسبب الملل أو الضجر الذى يلقونه من أحدهما فيدفعهم ذلك إلى هجر ما هم عليه .

فكم يكون جميلا إذا أمكن للفرد أن يكون صورة طيبة مماثلة للأخرى حتى يكون التقدم والترقى لهؤلاء الأفراد الذين سيجتازون على أية حال ؛ حالتهم الراهنة إلى عتبة باب سعادة النفس فى عالم الخلود Nirvana مستمراً ، مطرداً ، متناسقاً ، موفقاً ، دون توقف أو انقطاع .

الفصل السادس

تطور الروحية

إن المشتغلين بالروحية ، من جميع الأديان ، يسلمون جدلاً بأن الذكاء الفردى ، أوالعقل ، أوالوجدان ، أوالوعى ، أوالأنا ، أوالنفس ، أوالروح ، (ولك أن تتخير لنفسك ماتشاء ، ولكنى أفضل هنا كلمة « الروح ») موجودة وراء ذلك الاهتمام بالفحص والتقصى . إنهم لم يتفقوا ولم يوافقوا على الشيء الذى يقيم الروح ويكونها ، أوماذا يكون وظائفها ؟ ولماذا هى موجودة ؟ وكيف تكون موجودة ؟ أومن أين تأتى ؟ وبفرض تسليمنا بأن هذه المسائل من الصعوبة والتعقيد مايجعلنا نقف إزاءها حائرين ، إلا أن هذا لايجعلنا ننبذها أونطرحها جانباً أونضعها على الرف أونتركها دون أن نحاول حلها . .

فشكراً لله إذ علمنا مالم نكن نعلم عن طريق العلم : كيف جاءت العوالم الفيزيقية إلى الوجود من تصادف اصطدام سحابات غاز تتركب من ذرات أيدروچينية ، أوبوساطة تبريد مادة غازية ألقيت بكثافة من بعض أجسام حارة سماوية . أما كيف لايعرفنا بذلك العالم الفيزيقى الذى أنشأ العلم ، فلسبب بسيط هوأن العلم المادى لم يعترف قط بوجود عالم لافيزيقى Non — physical .

إن العلم يوجه اهتمامه فقط إلى مايمكنه أن يبرهن عليه : إما بالملاحظة أو المشاهدة ؛ وإما بالتجربة الكيميائية، أو الرياضيات . وكل مايمكن للعالم أن يحصل عليه من أنبوبة اختباره أو عن طريق الملاحظة من خلال ميكروسكوبه أو تليسكوبه ، إنما هو بيّنة الوجود ، وهذا ليس له أى دخل فى أى أمر من الأمور غير ذلك . وهذا تعليل ضعيف، بطبيعة الحال فيه كثير من الغباء ، وكثير من الترمت . لأن أصل الحياة نفسها لم يكتشف ولم يتم التوصل إليه عن طريق تجربة كيميائية ، ومع ذلك هل هناك من يستطيع أن ينكر أن الحياة موجودة ؟ . .

إنها لحكمة بالغة ، ونظام سائد ، ورقى دائم ، وسنن ثابتة ، وناموس عام . . هذه كلها مظاهر حياة سرمدية منبثقة من القدرة العالية، مندفعة بفطرتها إلى التكامل اللانهائى . .

ولقد ظهرت اليوم على الأفق العلمى ومضة لم يستطع تفسيرها — ومع ذلك فوجودها لايمكن أن ينكر — اسمها « الإدراك عن غير طريق الحواس» Extra Sensory Perception . ولقد كان للتجارب الخاصة « بالبارانورمال سيكولوجى» فى جامعة ديوك Duke بأمريكا بإشراف الدكتور راين ، ولكتابيه القيمين : The Reaeh of the Mind, New Frontiers of the Mind, أثر كبير فى إحداث صدى ودوى فى الأبراج العلمية . والدكتور راين — كما أسلفنا القول عنه فى فصل سابق — يعد من أحسن العلماء المعاصرين فى بحث الظواهر الوساطية .

ولقد برهن الدكتور راين على أن التلباثى العقلى إنما هو حقيقة لاشك

فيها . وأثبت أن ثمة قوى معينة لافيزيقية موجودة ومتداخلة فى بعضها ، بطريقة مجهولة غير معروفة . ونتيجة لهذا الكشف قرر الدكتور راين أن وجود عالم لافزيقى من المحتمل الآن . وليس من المتعذر وجوده كما يعتقد الكثيرون . وكانت خطوة جريئة وتقدمية دون شك جاءت ضربة قاضية للمادية Materialism

ومما قاله دكتورراين عن نتائج بحوثه فى جامعة ديوك فى هذا الشأن :

« . . وإذن فالعقل قوة تستطيع التأثير فى المادة ، ومهما كانت الطاقة المحركة وأياً كان نشاطها ، فإنها تعمل للمادة شيئاً يمكن قياسه إحصائيا . وهى تحدث نتائج فى البيئة المادية لايمكن تعليلها بأى عامل أو نوع من الطاقة معروف لعلم الطبيعة . وعلى أية حال فلابد أن نفترض وجود الطاقة . . وأن سجلات الطاقة المحركة تظهر أن زهر النرد « الطاولة » وهو ينحدر ، كانت تعمل فيه قوة فوق تلك القوى التى كانت تقذف به . وإذن فلابد من وجود طاقة يمكن تحويلها إلى نشاط مادى ، وهذه الطاقة هى الطاقة العقلية ، وهذه هى المرحلة الخامسة الكبرى فى طريقنا إلى الهدف ، وهو حل مشكلة العلاقة بين الإنسان والعالم المادى (إذ كانت أعمال قسم الباراسيكولوچى فى الجامعة مقسمة إلى عدة مراحل شاقة قبل الوصول إلى هذه النتيجة الخطيرة[١] » .

---

(١) عن الترجمة العربية لكتاب The Reaech of The Mind ، الذى قام بها الدكتور محمد الحلوجى تحت عنوان « العقل وسطوته » ص ١٢٠ .

ثم يقرر بعدئذ :

« ولم يعد هناك شك فى أن الطاقة المحركة ليست مادية . فليست هناك تجربة واحدة تعزز الرأى المادى ، بل هناك أدلة كثيرة تدحضه . والأدلة التى تثبت أن هذه الطاقة المحركة لاتخضع للقوانين الآلية متنوعة الشكل مختلفة التناسق ، وأن خروج هذه الطاقة على هذه القوانين المادية الآلية ليس هو خروجاً سطحياً ، بل هو يمس الصميم لأن العلاقات المادية التى امتحنت فى هذه التجارب هى الأساس لعلم الميكانيكا . فاكتشاف الحقيقة وهى أنه لا الكتلة ولا العدد ولا الشكل لها فاعلية فى اختبارات هذه الطاقة يجعلها تأخذ مكانها بجانب اكتشاف أنه لا الزمان ولا المكان لهما فاعلية على الإدراك خارج الحواس (١) » .

* * *

هل فوق حدود الإمكان أن يعمل العالمان الفيزيقى واللافيزيقى فى وجود حقيقى وهما متصلان أومتقاربان أو متجاوران ؟ ونقصد بهذا أنهما يوجدان فى وقت معاً بداخل ذات الحدود الاتساعية (الخاصة بالاتساع والفراغ) . فحيثما توجد المادة الفيزيقية ، يمكنك أن تجد أيضاً شبيهها أو صورتها المماثلة اللافيزيقية . ومع أن القانون الكيميائى « للحياة » لم يعرف بعد ، فإن تركيب المادة معروف ؛ فهى تحتوى على ذرات وجزيئات فى حالة اهتزاز مستمر . ولكن ماهى هذه القوة المنشطة اللافيزيقية التى تسبب هذه الحالة من الذبذبات والاهتزازات المستمرة ؟ ألا يمكن

(١) عن المرجع السابق ص ١٣١ – ١٣٤ .

أن تكون هذه هى « قوة الحياة » Life — force الغامضة ، المبهمة ، التى تعرف فى علم اليوجا « بالطاقة العالمية العامة » التى هى أصل كل الأشياء ، والمهيمنة على نظامها وتكوينها ؟ . . .

وعلى أساس هذه المقدمة المنطقية ، وفى ضوئها ، لنا أن نتقدم لنقارن بين العمليات التطورية والتدرج الارتقائى للمادة الفيزيقية واللافيزيقية . ولقد تتبعت البيولوجيا تقدم المادة العضوية واقتفت أثرها خلال ملايين السنين من الأميبة ameiba[1] إلى الإنسان . ولكن إذا كان الجسم الفيزيقى أخذ يتقدم خلال العصور بخطى حثيثة ، فمن المحقق إذن أن جزءه العقلى اللافيزيقى ، أى الروح ، لابد أن يحقق بالتالى نجاحاً أو تطوراً بالمثل .

العودة للتجسد :

وعملية التطور أو التنمية كيفما تكن ، ليست هى ذات العملية فى كلتى الحالتين . وحيث إن المادة الفيزيقية قد تطورت خلال سلسلة من التغيرات أو التبديل فى الشكل ، فإن المادة اللافيزيقية قد تطورت هى الأخرى خلال سلسلة من الوجود أو الأكوان المتفرقة و « الحيوات » المنفصلة . والجزء الفيزيقى من الإنسان، لكونه كيميائيا ، فهو خاضع لأحكام القانون الطبيعى الفزيقى من تغير وانحلال . أما الجزء العقلى ، لكونه غير فيزيقى ، فهو غير محكوم بالقانون الفيزيقى ، وبناء عليه ، فهو

---

(١) حيوان مكروسكوبى ذو خلية واحدة يتوالد بالانقسام الذاتى .

لايتغير ولا يتحلل بتحلل الجسم الفيزيقى .

والذى يحدث هو أن الروح تنطلق من وعائها الفيزيقى عند الموت ، وتعود إلى العالم اللافيزيقى الذى منه جاءت ، والذى هى جزء منه . فالروح إنما تستعمل فقط جسماً حياً لغرض نوعى خاص ، هو تنمية نفسها لكى تتطور روحياً ، وذلك عن طريق سلسلة من الوجودات الأرضية التى تصبو إلى النجاح . وعندما تكون قد وصلت إلى مرحلة معينة من الاستنارة العقلية والتثقيف الأدبى والخلقى ، تصبح من الأهمية بحيث تعود إلى المستوى اللافيزيقى حيث تستمر فى التطور والترقى فى مناطق أعلا وأسمى .

والخطأ الذى يقع فيه أكثرنا هو أننا نظن أن روحاً جديدة تولد عند كل ولادة فيزيقية جديدة . ومن الواضح أن كل ميلاد فيزيقى يتطلب جسماً فيزيقيا جديداً ، لأن كل جسم يبيد ويتلاشى بالموت ؛ ولكنه لايتطلب روحاً جديدة ، لأن الروح لاتتلاشى ولاتبيد بالموت . والجسم لكونه فيزيقيا ، يتبدد . أما الروح لكونها لافيزيقية ، فإنها خالدة دائمة لاتموت . . فالأجساد فى حقيقتها تتحول إلى مادتها الأولى : عناصر ومركبات فى الأرض صالحة أن تجدد نفسها مرة بعد أخرى فى صورة أشكال وأجسام مادية نباتاً وحيواناً . إذ أن المقرر أن المادة لاتفنى ولاتستحدث وما فناؤها إلا تحول إلى طاقة أو مادة أخرى . ومن هذا نجد الاستئناس إلى القضية القائلة : « إذا كانت المادة لاتفنى ولا تستحدث فمن الأولى الطاقة والحياة والعقل الذى يعطيها صورة الوجود » . . فالجسم الفيزيقى يتطور بالتغير ؛ والروح اللافيزيقية تتطور بالعودة للتجسد . ولعل الناس إذا أدركوا ذلك ،

توقفوا عن مناوأتهم واعتراضاتهم على فكرة الولادة الثانية Re — birth.

وإذا كانت هذه النظرية غير مقبولة ، إذن لوجب علينا أن نسأل أنفسنا بجد واهتمام : كيف تنشأ الروح أو النفس ؟ إننا لايمكن بأى حال أن ندعى أنها تحدث عرضا أو بطريقة لاندركها . . إننا نعرف نشأة الجسم الفيزيقى من بدايته إلى نهايته . ولكن أكثر الناس سيسلمون ويعترفون بأن الإنسان إن هو إلا شىء أكثر من مجرد مخلوق فيزيقى . ومن هنا كان المشتغلون بالروحية أكثر الناس اهتماماً لإخبارنا بما يحدث للنفس بعد الموت . ولكن هناك من هؤلاء من يقف صامتا لايتكلم عن بقاء النفس أووجودها قبل الولادة . .

فإذا كان من السهل ادعاء أو افتراض الوجود البعدى أو مابعد الوجود post — existence ، إذن لماذا يكون من الصعب افتراض الوجود السبقى أى ماقبل الوجود pre — existence ؟ . .

يبدو أن السبب فى تعصب الناس ضد العودة للتجسد هو أنها صعبة الفهم. ولكنها بكل تأكيد تلقى ضوءاً على كثير من القضايا الفكرية التى تظل غامضة بدونها . وبالتالى فلا يتوقف الفكر البشرى عن كثير من قوى الدفع والتطور . فهناك قضايا التباين والتفاوت فى الوجود البشرى ؛ والظلم والحيف والتحامل والتحيز المتفشى بين البشرية ؛ الخوف والحب والنفور ؛ الاختلاف والتباين فى المستويات العقلية والأدبية والأخلاقية ؛ والعبقرية، والنبوغ المبكر عند الأطفال ؛ والجهل والغباء والشذوذ العنيف عند كثير من الأطفال . وكثير من هذا بعيد عن قانون الوراثة المشهور

فلا يكاد يعطيه تفسيراً علميا مقنعاً .

إن الدراسة الروحية جواب على لغز الحياة . ولسنا مبالغين إذا قلنا إنها تفتح باب الموت على مصراعيه لنشهد ماوراءه من مجالات وجود . فأى شيء فى هذا يعترض جدية هذا الأمر بل سموّه وعظمته ؟ . .

إن قانون الكارما Karma فى اليوجا الهندية ، والقائل بتجسد الروح عدة مرات لتلقى جزاء ماعملت ولتتطور إلى حياة أرقى وإلى حياة أجلّ ، أو مايقولون عنه بتناسخ الأرواح يحق لنا أن نقول إنه بالأحرى تناسخ الأجساد حيث لاتنسخ الروح وإنما ينسخ الجسد ، أما الروح فهى ترتقى وتتطور . نقول إن هذا القانون هو القانون العادل الطبيعى للعلة والمعلول لأنه هو قانون : «ماتزرع إياه تحصد أيضا» و «الجزاء من جنس العمل» .

إن الذى كنا عليه من قبل ، هو الذى يجعلنا على ما نحن عليه الآن ؛ إنه يؤكد ماسنكون عليه عند الانطلاق من هذا الجسد أو العودة للتجسد على هذه الأرض مرة أخرى فى سلم من التطور لايتوقف ، وهذه هى بديهة الوجود وسنة الحياة .

الفصل السابع

الإدراك عن غير طريق الحواس

إن ذلك العقل الواحد الذى يمكنه أن يعمل فى عقل آخر ، بدون استعمال الكلام أو الإشارة أو أية وسيلة أخرى من الوسائل التى تؤثر فى أعضاء الحس عند شخص آخر ، قد أصبح معترفاً به فى البيئات العلمية وعند كثير من الناس . ومن المعروف أن هذا الاتصال المباشر عن طريق نقل الأفكار هو من الوسائل العادية التى يلجأ إليها النساك والمتعبدون فى التبت عندما يريدون نقل رغباتهم إلى تابعيهم وحوارييهم . ولعل معظمنا قد صادف عرضاً تجربة أو حادثة كشفت له عن أن صديقاً عزيزاً أو زوجاً أو زوجة ، يعبر الواحد منهم عن فكرة طارئة كانت فى ذات الوقت فى عقولنا ، وكنا على وشك أن نفوه بها . وهذه الحالات الملفتة للأنظار من نقل الأفكار كثيراً ماتحدث بوضوح وجلاء عند كثير من الناس.

فقد يرى شخص مثلا فى حلمه أن صديقاً له وقع له حادث فى قطار ، ويعلم بعد ذلك أنه قتل فعلاً فى حادث قطار فى تلك الليلة . أو أن امرأة خطر ببالها ماجعلها تقلق على ابنها الذى يعيش فى بلد بعيد وتعتقد أنه فى خطر . ثم تكتشف عن طريق خطاب يصلها منه بعد بضعة أسابيع بأنه نجا بأعجوبة من موت محقق فى ذلك الوقت تقريبا .

إن مثل هذه القصص العجيبة ولو أنها فردية ، لم تكن بيّنة مؤكدة أو مقنعة على أن الناس لديهم قوى حقيقية للحصول على معلومات بوسائل أخرى غير تلك الحواس المعروفة . وهي لايمكن أن تفسر إلا كمصادفات فردية ناشئة عن الحظ أو الصدفة ، لا كاتصالات حقيقية مجّربة من شخص إلى آخر . ولقد كان أول رد فعل للعالم العلمى الذى لايثق بالوقائع الثابتة ، التى لايمكن تعليلها أو تفسيرها ، هو رفض كل تلك القصص سواء كان حدوثها عن طريق الصدفة ، أم مجرد تلفيقات من العقول المخترعة للعقول الساذجة الغريرة . أما البيّنة الوحيدة التى يمكن قبولها عن طيب خاطر لاختبار حقيقة انتقال الأفكار ، فهى أن تلك الحالات وهذه الحوادث يجب أن تكون محل بحث ودرس فى المعامل بحضور شهود عدول وبشرط أن تكون تحت رقابة دقيقة .

لقد كان ذلك منذ أكثر من خمس وسبعين سنة حينما جاءت جماعة من العلماء والباحثين ذوى درجة عالية من الامتياز العقلى المدرك ، وعقدوا النية على إنهاء الموقف المشين الذى يحدد معرفة الحقيقة عما إذا كان هناك أو لم يكن هناك أى صدق فى أى أو كل الأشياء العجيبة الفردية التى أكدها فى الغالب كثير من الناس ، ولم تعترف بها العلوم المادية . وقد شملت هذه الأشياء الغريبة : انتقال الأفكار ، وتحرك الأشياء والأدوات بدون ملامسة ، وعالم الجن والأرواح الشريرة ، والمنازل المسكونة ، والاتصال بأرواح الموتى ، وغيرها . . وكيما يبتوا فى هذه الأسئلة ويفصلوا فى الخلاف فيها ، فقد أسسوا « جمعية البحث الروحى » بلندن التى مهدت الطريق

إلى دراسة علمية خطيرة فى الموضوعات التى كان يعالجها من قبل بعض أناس عاديى أو ضعاف الإيمان ، وبعض أناس آخرين مغرورين ، مستهينين ، غير مصدقين . وكانت المسائل التى بدأ الباحثون الروحيون فى حلها ، ماتزال معلقة ولم يبت فيها . فكان البرهان على حقيقة انتقال الأفكار من المسائل التى حققوا فيها نجاحاً باهراً ، وكان من الانتصارات السابقة لأوانها . فى السنة الأولى من عملهم وجدوا بعضاً من الأشخاص ممن يستطيعون تحديد الاسم المكتوب على بطاقة يكون قد قلبها على وجهها أحد المختبرين بدون أن يراها أحد منهم ، وبدون أن يكون عندهم أية وسيلة عادية أخرى للإخبار عما تكون عليه هذه البطاقة . إنهم لم يصيبوا فى كل مرة ، ولكنهم كانوا مصيبين غالباً ومراراً بشكل ملحوظ لا يجعل للحظ أو للمصادفة دخلاً فى الأمر . ولقد نجحوا أيضاً عندما تواجدوا فى حجرة معاً ، بينما الشخص الذى معه البطاقة فى غرفة أخرى .

نجاح ساحق :

وثمة شخص آخر ، كان فى هذه المرة يافعاً ، نجح نجاحاً ساحقاً فى نقل رسوم من رسوم أخرى لم يرها . واتضح أنه كان قادراً على تنفيذ الفكرة التى كانت تخطر على بال أحد الرسامين . ولقد أكدت حالات التجربة بما كانت عليه من دقة فى الحيطة ، أن هذا الشخص لم يكن يستخدم فى هذه العمليات أية وسيلة عادية . وأكدت ، عن طريق هؤلاء الأفراد ، أن انتقال الأفكار أو بعض الأشياء الأخرى التى يتم

الحصول فيها على معلومات بوسيلة غير عادية ، كانت حقيقية ليس فيها شبهة من شك .

حقا لقد كانت تلك النتائج المبكرة أو التى كانت سابقة لأوانها ، ثابتة مع الاحتمال بأن انتقال الأفكار كان نادراً ، وقلما يكون إلاّ عند بضعة أشخاص قلائل . وحتى إذا ثبت أن ذلك أمر نادر الحدوث فإن النتائج الباهرة للنظرية ماتزال باقية . حتى لقد بينت تلك التجارب المبكرة أن الاعتقاد المسلم به عموماً عن الطريقة التى تعمل العقول بها من أن انتقال الأفكار أمر مستحيل ، لا يمكن أن يكون صحيحاً . وعلى ذلك فأساسيات السيكولوجيا العلمية يجب أن يعاد النظر فى أمرها من جديد . وهذه الكشوف لا تعتمد مطلقاً على انتقال الأفكار بوصفه شيئاً عادياً ومألوفاً ، بل إنه يجب أن يظل باقيا حتى ولو لم تشاهد إلاّ حالة واحدة فقط لانتقال الأفكار .

إذن ماذا كان رد الفعل فى العالم العلمى لهذا التحدى الخطير لمعتقداته الأساسية ؟ لقد كان الجواب ، إجمالا ، هو أن التحدى قوبل بالتجاهل ورفض الاعتراف به . وكان من بين دارسى البحوث الروحية المتقدمين علماء متخصصون ممتازون هم : كروكس ، وباريت ووالاس ، (وبعد ذلك لودج) . ولكن مع أن أولئك العلماء الأجلاء قاموا بإجراء اختباراتهم واستقصاءاتهم بعناية المرتابين ، وبدقة متأنقة ، وبنجاح مذهل ملفت للأنظار ، بدا لزملائهم العلماء أن افتراض خطئهم أهون من قبول العواقب التى ستترتب على استقصاءاتهم . .

ولقد كانت هناك عدة بواعث لهذا الميل لعدم الإيمان والتصديق من

قبل العلم الحرفى . ولعل أقوى البواعث هو أن الأشياء المقررة لايجب أن يكون حدوثها عن طريق مقياس معقول من المقاييس التى علمنا العلم أن نؤمل فيها أو نترقبها . إننا نؤمل أن نحصل على أخبار وأنباء عن أفكار أناس آخرين ، أو عن حوادث خارجية عن طريق الحواس لا بطريق آخر. فآذاننا ، مثلا ، يمكن أن تستقبل موجات هادئة رصينة من صوت شخص آخر مفضياً لنا بما يفكر. أو أنه يمكننا أن نعرف الصورة التى على بطاقة ، لأن موجات الضوء المنعكسة من البطاقة استوقفت أنظارنا وأوصلتنا إلى مجموعة من الحوادث فى شبكية العين والمراكز البصرية فى المخ التى تؤدى إلى رؤية الصورة على البطاقة. وهكذا يكون الحصول على المعرفة عن طريق الحواس بالطريقة التى يمكن أن يشرحها العلم . ولكن إذا كنت منفرداً فى غرفة ونظرت إلى بطاقة ، وأنا فى غرفة أخرى ، يمكنى أن أخبرك عما تكون مع أنك لم تقل لى شيئاً عنها ، ولم تبين لى أية علامة أو إشارة عنها . فيتضح إذن أن عندى طريقة للحصول على معلومات بدون استعمال الوسائل الفيزيقية التى يعتبرها العلم المادى ضرورة لابد منها .

عمل الدكتور راين :

إننى موقن الآن أن هذا الاتجاه لتجاهل كشوف الأبحاث الروحية فى طريقه إلى الاختفاء. فلقد كان عمل الدكتور راين وزملائه فى جامعة ديوك بكاليفورنيا الشمالية عاملاً هاماً ، دون شك ، فى إعادة إيقاظ الهمم وتوجيه الاهتمام إلى هذه المسألة . فباستعمالهم مجموعات من البطاقات المرسوم

عليها أشكال هندسية بدلاً من أوراق اللعب ، حققوا نجاحاً باهراً فى تجارب الحدس والتخمين بدرجة أعلا بكثير من تلك التى كانت متبعة من قبل ، وعلى نطاق أوسع . ولقد كان دكتور راين مقتنعاً بأن القوة العقلية التى يدرسها ليست هى مجرد المقدرة على قراءة الأفكار فى عقل شخص آخر (التى كانت تعرف حتى ذلك الوقت « بالتلباثى ») . ولكنها أيضاً المقدرة على معرفة بعض الحقائق من العالم الخارجى غير المعروف لدى أى شخص آخر (أى أنه يعتقد فى « الجلاء البصرى » كما يعتقد فى « التلباثى » سواء بسواء) . وبذلك صاغ تعبيرا جديدا هو « الإدراك عن غير طريق الحواس » Extra Sensory Perception (E.S.P.) ليشمل به كلا من القوتين .

ولقد أثار عمل راين وزملائه اهتماماً جدياً بالموضوع بين كثير من الناس ممن كانوا لا يهتمون به من قبل. ولكن راين بيّن بكل تواضع وحياء وبصدق أيضاً أن الإدراك عن غير طريق الحواس لم يكن كشفاً جديداً ، ولكنه واحد من الكشوف التى ظهرت منذ عدة سنوات قبل ذلك . وبمجرد إعلانه ذلك وافقت «جمعية البحث الروحى » على أن تقرّ مسألة حقيقة انتقال الأفكار كما أنها أقرّت التجارب أيضاً .

ومع ذلك فقد قام المشتغلون فى كارولينا الشمالية بأكثر كثيراً من البرهنة مرة أخرى على حقيقة الإدراك عن غير طريق الحواس . لقد قاموا بالكشف الهام الذى لم يكن مقصوراً على فئة قليلة من أناس بعينهم ، وإنما كان خلافاً لذلك ، كشفا فيه متسع كبير لعدد أكبر من أناس

عاديين طفقوا طول الوقت يعملون على إنجاز تجارب جديدة تنشر النور والحق واليقين على جميع العالمين . وكان من ضمن عطاياهم المفيدة ، وهباتهم الممتعة ، أنهم أثبتوا بالدليل القاطع أن حضور المعرفة فى عقل أحد الأشخاص لاتقتضيه ضرورة فهم الإدراك عن غير طريق الحواس ، وبعبارة أخرى ، أن للجلاء البصرى أن ينال مكانته كالتلبا ثى سواءبسواء.

وكان يبدو فى الأيام المبكرة أن البحث الروحى أمر بسيط من السهل جداً البرهنة عليه ، وكان يُظن أن كل مافى الأمر هو أن الشخص الذى تقام عليه التجربة يجب أن يكونَ قادراً على الحدس (التخمين) بما يكون عليه ترتيب عدد مخلوط من أوراق اللعب ، حيث لايكون لأى شخص آخر أى علم بترتيبه وقت الحدس . وبعد ئذ يمكن أن تُقارن التخمينات بالنظام الفعلى للورق . فإذا كانت نسبة الصحة فيها أكثر من أن تنسب للحظ أوالمصادفة ، فيعتبر هذا برهاناً كافياً للجلاء البصرى .

ولكن ثمة كشفاً تم فى إنجلترا قبيل الحرب العالمية الثانية ، قام به فى بادئ الأمر هويتلى كارنجتون ثم أيده فيما بعد سول Soal . وعقّد هذا الكشف بصورة خطيرة مسألة إيجاد برهان مقنع بأن الجلاء البصرى يختلف تماماً عن التلباثى . وكان هذا الكشف هو أن تخمينات أحد الأشخاص يمكن أن تتحدد لا بفكرة حاضرة فى عقل المختبر وإنما بفكرة مستقبلة . وعلى ذلك فالفرد يمكن أن يحدس لابما فى الورقة التى ينظر فيها الممتحن ، وإنما بما فى الورقة التى سيقلبها . وهذا ماأطلق عليه « التلباثى السابق العلم به » pre — cognitive وهذا يعقد مسألة البرهان على الجلاء

لأن النجاح فى مثل هذه التجربة التى وصفناها هنا يمكن أن يفسر كنتيجة للشخص الذى يحدس ، وهو على علم بطريقة تلباثية ، بالأفكار المستقبلة التى فى عقل المختبر عندما يراجع أوراق اللعب فى النهاية ليرى كم من الإجابات كانت صحيحة .

ويعقب ذلك أن البرهان الساطع للجلاء البصرى يقتضى أن يكون الجواب الصحيح لكل حدس غير معلوم عند أى فرد . ومع ذلك فالمختبر يجب أن يعرف كم من الإجابات كان صحيحاً ، وكم منها كان خاطئاً . ولعل هذا كان بمثابة رباط للحالات غير ممكن ، ولكن الصعوبة قد تغلب عليها أحد الباحثين فى كارولينا بحذق ومهارة . فلقد كان مطلوباً من الشخص الذى تقام عليه التجربة أن يوزع عدداً من البطاقات الخاصة التى تستعمل فى جامعة ديوك على خمسة أكوام مطابقة للخمسة أنواع المختلفة للرسوم الهندسية المطبوعة على وجهها . وليس له ولا لأى فرد آخر أن يرى وجه البطاقات إلى أن تنتهى التجربة ، وحتى يخلط كل كوم قبل مراجعته ، وذلك للتأكد من أن أحداً لن يعرف أى الإجابات كان صحيحاً .

ولقد تمت التجربة بنجاح ، وأصبح من المحقق الثابت أن الإدراك عن غير طريق الحواس له الآن أن يثبت نفسه ويأخذ مكانه ويسلك طريقه ، لاسيما إذا كان الشخص الذى تقام عليه التجربة ليست لديه أية إشارة أو معرفة سواء عن الأفكار الحاضرة أو المستقبلة التى فى عقل شخص آخر . وبعبارة أخرى ، فإن الجلاء البصرى ممكن كالتلباثى سواء بسواء .

طرق إحصائية :

لقد تحدثنا مراراً عن الشخص الذى يقوم بتجارب الإدراك عن غير طريق الحواس ، ويحقق نجاحاً وتوفيقاً فى حدسه الصحيح بطريقة لا تدع مجالاً للشك ، و « أبعد ماتكون عن أن تعلل بالحظ أو الصدفة ». ويحسن بنا هنا أن نوضح بالضبط مانقصده بهذه العبارة . فالأمر لم يكن واضحاً أو جلياً فى الأيام الأولى من البحث الروحى ، ولقد أخفق المختبرون أحياناً كثيرة فى أن يفهموا كم كانت نتائجهم طيبة مع عدم وجود طريقة سديدة مناسبة ليكشفوا بها كيف كان من المحال أن تكون نتائجهم الموفقة آتية عن طريق الصدفة . والوسيلة الضرورية لهذا التقدير قد تم تفسيرها الآن فى علوم بيولوجية أخرى . وقام باستعمال نتائج هذه البحوث فى « الأساليب الاستقرائية » جميع المشتغلين التجريبيين فى البحث الروحى .

ولنفرض أننا نستعمل مجموعة تحتوى على خمس وعشرين بطاقة ، وضع كل خمس منها على حدة ، وعلى كل خمس منها رسوم هندسية مختلفة ، وهذه المجموعة هى التى استعملها الباحثون فى جامعة ديوك . فإذا كان الشخص الذى نجرى معه تجربتنا ببطاقة الحدس بمثل هذه المجموعة ليست عنده القدرة على الإدراك عن غير طريق الحواس ، فيجب أن نتوقع منه عن طريق الصدفة أن يأتى فى المتوسط بخمسة تخمينات صحيحة من أول المجموعة إلى آخرها . ولكنه لايمكنه أن يأتى بخمسة بالضبط صحيحة ؛ فهو قد يأتى فى بعض الأحيان بأقل من خمسة صحيحة ، وفى

أحيان أخرى يأتى بستة أو سبعة أو بأكثر من ذلك . وعلى ذلك فليس لنا أن نعجب أو نستغرب إذا جاء بستة أو سبعة أو ثمانية تخمينات صحيحة فى مجموعة واحدة . ومع أن هذا يعتبر أكثر من المتوسط الذى نتوقعه على عدد من المجموعات ، فهو لايمكن أن يكون أكثر من حظ .

ولكننا يجب أن نبدأ فى تقبل الدهشة والعجب ، وأن نوقن أن شيئاً ماأكثر من الحظ وأكثر من المصادفة كان يقوم بعمله إذا وصل الحدس الصحيح إلى تسعة أو أكثر . والتقدير هنا يبين أن الترجيح مقابل الحصول على عدد كبير صحيح إذا كان الحظ هو التعليل الوحيد أن يكون حوالى عشرين لواحد . وسيكون عندنا اقتناع قوى بأن شيئاً ماأكثر من الحظ يجب أن يكون هو التعليل إذا أتى بعشرين مرة صحيحة ، فى حين أن الترجيح ضد هذا الذى حدث عن طريق الحظ يمكن أن يكون بالتقريب ألف لواحد . وفى تجارب بطاقات الحدس التى أجراها دكتور راين وزملاؤه فى أمريكا ، وسول فى إنجلترا ، كانت الزيادة كبيرة جدا فى الإجابات الصحيحة على سلسلة طويلة من الحدس ، لدرجة تحتاج معها إلى أرقام فلكية كما توضح الترجيح ضد تعليل الحظ .

قضية محققة :

ويمكننا أن نحلل النتائج الرئيسية لهذه البحوث بقولنا إنه قد تم التحقيق بلا أدنى شك موافقاً للعقل : أولاً — أن الإدراك عن غير طريق الحواس يمكن الحصول بعبارة أو بجملة من المعرفة من عقل شخص آخر

لم يكن له اتصال بأية وسيلة عادية (الحديث أو الإشارة) . ثانياً — أنه يمكن أن يكون أيضاً عن بعض الحوادث الخارجية غير المعروفة لأى شخص آخر . ولم تدرك عن طريق أى مجرى عادى من الحواس . ثالثاً — إن مايعرف باسم الإدراك عن غير طريق الحواس يمكن أن يكون فكرة أو حادثة لاتتعلق بالحاضر فحسب وإنما تتعلق بالمستقبل أيضاً .

فإذا اتفقنا على أن البينة إنما توضح حقيقة الفهم والمعرفة لماوراء العادة paronarmal knowing أى الإدراك عن غير طريق الحواس ، فمن الطبيعى أن نسأل ، أى نوع من العمليات تكون ؟ إن الذين يدرسون الموضوع جملة ، إنما يهتمون ببيان حقيقته وعرضها أكثر من اهتمامهم بعمل محاولات لتفسيره وشرحه . وهناك حاسة لايمكن أن ينتظر منا أن نشرحها وإنما نكشف قوانينها . وتفسير شيء جديد إنما يبين فقط أنه حالة جديدة لشيء كان معروفا من قبل . فحركات االكواكب كانت تفسّر حين رؤيتها بأنها خاضعة لنفس القانون الذى جعل التفاح يسقط على الأرض . وكانت العواصف الرعدية تفسر حين حدوثها بأنها نفس الشيء ، على درجة أعلا ، كالذى حدث عندما صنع أحد الأفراد شرارات بآلة كهربائية فى معمله .

ومحال أن يفسر الإدراك عن غير طريق الحواس بهذه الطريقة كحالة مختلفة عن نفس النوع من الشيء كما يحدث فى الإدراك العادى إلا استعمال بعض أنواع أخرى من الموجات أكثر من تلك التى فى الضوء والصوت . وفى بعض أعضاء الحواس الأخرى أكثر من العيون أو الأذان

أو أى عضو من أعضاء الحس المعروفة الأخرى .

والبينة قوية تجاه الرأى القائل بأن الإدراك عن غير طريق الحواس هو سبيل للخبرة التى تعتمد – مثلها كمثل الإدراك عن طريق الحواس العادية – على استقبال أى نوع من الموجات على عضو للحس sense organ . وعلى ذلك فإن أملنا لفهمه لايتحقق إلاّ بمحاولة إعداده ووضعه فى النموذج الذى يعلمنا به العلم السيكولوجى عن مثل هذه الحواس كالنظر والسمع ، إلخ . فنحن بالأحرى يجب أن ننظر إليه كوسيله مختلفة تتصل بها عقولنا بعقول أخرى أو بالعالم الخارجى . ويجب أن نكون على استعداد لندرك أنه لن يتعرض للتفسير على طول أى من الخطوط التى أعدّتنا لها معارفنا فى العلوم الفيزيقية . والخطوة الأولى لمحاولة فهمها يجب أن تكون : النظر فى كيفية عملها وكشف قوانينها ، والعمل على تفتيح عقولنا ، إذ ربما نحتاج إلى سبل للتفكير فيها تختلف عن تلك التى اعتدناها . ولا أظن أننا قطعنا شوطاً يعتد به بعد فى الاتجاه نحو فهم الإدراك عن غير طريق الحواس .

نظرية فيشنر :

إذا افترضنا أن انتقال الأفكار هو الحقيقة الوحيدة للإدراك عن غير طريق الحواس ، ، فربما نشعر بانجذاب نحو أسلوب التفسير الذى اقترحه فيشنر Fechner منذ أكثر من قرن مضى . ومؤداه أن العقول ليست منفصلة فى حقيقة الأمر ، ولكنها مجرد أجزاء لعقل واحد أكبر . وحينئذ يمكن أن

يكون التلباثى ، ليس انتقال معلومات من عقل واحد آخر ، ولكنه بكل بساطة عقل واحد عارف ومطلع على مايدور ويجرى فى جزء آخر من العقل الكبير الذى هو الآخر جزء منه .

هنا يبدو لى أن ثمة اعتراضات عدة على هذه النظرية . وإنها يمكن أن تفسر سبب حدوث التلباثى عندما يفى بالغرض ، ولكن لاتفسر الحقيقة الهامة التى تؤكد أنه لايحدث عادة . ومعظم محتويات عقول الناس الآخرين مفصولة تماماً عنا ، ومقطوع خط الاتصال بينها وبيننا ، ما لم يوصلها أولئك الناس الآخرين عن طريق الحديث أو عن أية وسيلة فيزيقية أخرى. ومن الصعب أن نرى لماذا يجب أن يكون الأمر كذلك فى نظرية العقل الكبير الواحد ؟ فإذا كانت عقولنا جميعاً بالحق واحدة ، فعلينا أن نتوقع أن يكون مجتمع الفكر هو القاعدة بدلاً من الاستثناء النادر جداً.

ثم إن النظرية أيضاً قابلة للاعتراض بأنها تفسر التلباثى لاالجلاء البصرى ، ويبدو، والحال كذلك ، أن الجلا البصرى حقيقة لاريب فيها ، مثلها كمثل التلباثى سواء بسواء . وإن تفسيراً مرضياً للإدراك عن غير طريق الحواس يجب أن يعلل ويوضح كلا من التلباثى والجلاء البصرى .

مقابلة الاعتراضات :

ولقد تقدم كل من دكتور وايزنار Dr. Wiesner ودكتور روبرت ثاوليس Dr Robert Thouless منذ سنة ١٩٤٩ بخطة تفسير يبدو منها أنهما يتجنبان هذه الاعتراضات . فى الإدراك الحسى العادى ، تحصل

النفس أو الذات على معلومات من العالم الخارجي من خلال شيء يدخل فى المخ . إذن فكيف تحصل النفس على معلومات وأخبار من المخ ؟ . . إن الجواب الذى ارتآه كل منهما هو أن ذلك يحدث بوساطة الإدراك عن غير طريق الحواس . ولذا فإن الشخص الذى له خبرة تلباثية هو فقط الذى يمكن أن يحصل على معلومات من عقل شخص آخر بنفس الطريقة التى حصل بها بطريقة عادية على معلومات من مخه .

والشخص الذى يعرف عن طريق الجلاء البصرى حقيقة الحادث الذى وقع للقطار، أو يحدد نوع البطاقة التى تستخرج من مجموعة بطاقات الحدس، هو فقط الذى يحصل على المعلومات رأساً من العالم الخارجى بنفس الطريقة التى يحصل بها بطريقة عادية من مخه . وإذا كان هذا صحيحاً ، فإن التلباثى والجلاء البصرى هما صورتان غير مألوفتين لطاقة هى فى صورة أخرى عادية ومألوفة لكل منا . وهى فى الغالب إحدى الأشياء المألوفة لنا منذ أن كانت خطوة هامة وجوهرية فى العملية التى نتعلم عن طريقها مايجرى من حولنا بوساطة فعالية أعيننا وآذاننا وأمخاخنا بإدراك حسّى عادى .

وهذه الطريقة التى فُسر بها الإدراك عن غير طريق الحواس توحى أيضا بجواب على هذا السؤال : لماذا كان ذلك مع أن لدينا هذه القوة «غير العادية» للحصول على معلومات بوسيلة أخرى غير الحواس ، يبدو أنها استعملت نادراً وبواسطة قلة من الناس ؟ . إنه سؤال صعب ، ولكن ثمة مايمكن أن يكون جوابا محتملاً . ولعل المفتاح يكون موجوداً فى الحقيقة العجيبة التى مؤداها أننا إذا ثابرنا على السير فى الاختبار مع شخص يتبين

أن لديه القدرة على الحدس الصحيح بالبطاقات بواسطة الإدراك عن غير طريق الحواس . فإن فوزه يسير من سيء إلى أسوأ حتى يصبح حدسه أقل من أن ينسب إلى الصدفة .

ويظهر من هذه الملاحظة الدقيقة كما لوكانت طاقة مكبوتة ، أى كما لو كان ثمة شيء فى نفسه يتدخل فيها . وربما كان الجواب على السؤال : لماذا لايمكننا جميعاً أن نستعمل الإدراك عن غير طريق الحواس فى كل الأوقات ، هو أننا فى خلال التطور قمنا بتنمية وترقية جهاز عصبي ومجموعة من أعضاء الحس لكى نكون على صلة ومعرفة بالعالم الخارجى ، ونكون فى نفس الوقت قد بلغنا طريقة محققة للحصول على معلومات عن العالم الخارجى الذى ينتشر الآن من حين إلى آخر بهذه الصور المختلفة من الإدراك عن غير طريق الحواس .

ولأن الطبيعة ، فى تطويرها لأعضاء الحس ، دفعت فى أرضية الصورة الطريقة القديمة للمعرفة رأسا بوساطة الإدراك عن غير طريق الحواس ، ربما لأننا جميعاً (باستثناءات قليلة ، فقدنا حيلة استعماله . وعندما نجد أنفسنا نستعمله ، كما فى تجربة بطاقات الحدس الناجحة ، تكون النتيجة أن التثبيط الذى دبره ليبزغ أوتوماتيكيا ، سيغدو أقوى بحيث تميل القوة إلى الاختفاء مرة أخرى .

استعمال الإدراك عن غير طريق الحواس وضبطه :

ثمة سؤال آخر عن الإدراك عن غير طريق الحواس كثيراً مايواجهنا وهو : أهى طاقة جديدة تلك التى بدأ الناس فى إحرازها ، والتى ستزيدهم

قوة فى فى المستقبل عندما يتعلمون كيف يستعملونها ، وكيف يتحكمون فيها ؟ .. سبق أن بينت من قبل ماذا يكون جوابى على الجزء الأول من السؤال. فلا أظن أنها طاقة جديدة بل قديمة ، ولكنها مهجورة أو مركونة جانباً . .

أما من جهة ما أذا كان امتدادها يمكن أن يكون شيئاً طيباً أو سيئاً فهنا محل للمناقشة . ربما نشعر لأول وهلة بجاذبية نحو الفكرة الخاصة بمستقبل يمكن أن تكون فيه التليفونات وحتى الخطابات غير ذات نفع ، ولا لزوم لها ، لأننا يمكننا ، حيثما نحب ، أن نتصل بصديق تلباثيا أينما يكون . وأضرار هذه الحالة ، مهما تكن ، أكبر من نفعها . فمن الخير لنا أن نستمر فى احتمال مشقة الكتابة واستخدام التليفون مراراً عن أن نترك خواطرنا وأفكارنا دائماً تحت رقابة الغير . وسيكون من الخرق والحرج إذا التقى شخصان لإبرام أمر من الأمور أو لاتصال اجتماعى عادى فيعرف كل منهما ماذا كان الآخر يفكر فيه . وسيكون سيئاً ولاشك إذا كنا فى موقف غير محتمل فى حشد كبير من الناس ، وليس عندنا فاصل أو عازل يمنع من تصادم أفكار كل منهم . وعازلنا العقلى عزيز جداً وقيمته لاتقدر إذا أردنا أن نبدله بإحدى وسائل الراحة الزهيدة ، الواهية ، التى لايعتد بها .

ويمكننا أن نتعزى بفكرة أن ليس هناك أية دلالة على أن الاتجاه الذى نرتقى فيه ، إنما هو فى ازدياد التلباثى والجلاء البصرى . ويبدو لنا أن هذا أشبه شىء بما سبق أن افترضناه من قبل من أن الإدراك عن غير طريق الحواس إنما هو وسيلة للحصول على معلومات نبذناها وتركناها جانبا بدلاً من أن نأخذ فى تنميتها.

وحتى لو سلمنا بهذا جدلاً ، كيفما يكن ، فهو لن ينهينا من

السؤال . قد تكون هناك أضرار بالغة في مجرد زيادة الإدراك عن غير طريق الحواس ، ولكن الفائدة الحقيقية إنما هي في حصولنا على قيادة اختيارية لما يُترك من تلك الطاقة . فإذا كانت عندنا قيادة تامة للإدراك عن غير طريق الحواس ، وأمكننا أن نديرها كيف نشاء وكيفما أحببنا ، فستكون إضافة نافعة ومفيدة لحواسنا . وحتى أولئك الذين يمكنهم أن ينجحوا في اختبارات بطاقات الحدس لايعرفون كيف ولامتى يكونون موفقين . فهم في بعض الأيام لاينجحون إطلاقاً ، ولو حاولوا ذلك كثيراً . وبعبارة أخرى ، فإن القوة خارج قيادتهم . أما إذا عرفوا كيف ينجحون في معرفة الإدراك عن غير طريق الحواس ، حتى يستطيعوا أن يقوموا بها إراديا حيثما أرادوا ، فهذا يمكن أن يكون مريحاً كل الراحة للمختبر . وإذا أمكنهم أيضا أن يعلمونا كيف نؤديها في كل يوم من أيام حياتنا ستكون لنا ولاشك وسيلة عملية عظيمة من وسائل الراحة . .

وهناك اتجاهات للعلم أخرى تعلم الناس منها كيف يتوصلون إلى قوة القيادة التي لم يعتادوها . فلقد تعلمنا ، مثلا ، كيف نتحكم في مصادر الحرارة والطاقة ، وفي نسل الحيوان والنبات . فإذا نجحنا في الحصول على الضبط فإننا نأمل يوماً أن نتعلم أيضاً كيف نتحكم في الإدراك عن غير طريق الحواس . فعلينا أولاً أن نتعلم عنه قدراً أكبر مما نعلم ، ونتعلم كل مايتصل به من قريب أو بعيد . . أما اليوم الذي سنفهم فيه كل شيء والذي نستطيع فيه أن نتحكم في هذه المعرفة (معرفة الإدراك عن غير طريق الحواس) فهو مايزال يبدو لنا بعيداً ، والطريق إليه طويل طويل .

الفصل الثامن

المكاشفة ـ حاسة سادسة

من المعروف أن موارد العقل التى عن طريقها يقوم كل فرد منا بعمله طبيعيا خمسة ، وهى : اللمس ، والذوق ، والشم ، والسمع ، والبصر . وهذه الحواس الخمس هى التى يستمد العقل منها إدراك الأمور الخارجية . فإذا تعطلت إحداها انضافت قوتها للأكثر عملاً من هذه الحواس . فإذا أهمل استعمال هذه الحواس كلها ، أى إذا زهد الإنسان فيما يشغلها ، انصرفت القوة إلى القلب ، فتحصل فيه قوة لإدراك الحقائق التى يميل هو إليها فيدركها بها . .

ولكن هناك لدى كل شخص حاستان أخريان لم يتعلم بعد كيف يستعملهما ، مع أنهما راقدتان وكامنتان فى كل مخلوق بشرى . والتراكيب العضوية لهاتين الحاستين الأخريين معروفة جيداً عند كل مشتغل بالطب . فهما تقعان بالقرب من المخ ، وتعرفان بـ « الغدة الصنوبرية » و« الغدة النخامية » .

وهاتان الحاستان الأخريان مختلفتان تماماً ، ولكل منها أهمية جُلى . فهما ذاتا قيمة كبيرة لاتقدر فى زيادة مقدرة الفرد على تفهم الحياة . كالبصر بالنسبة إلى أية حاسة من الحواس الأخرى . كما أنهما تمدانه بقوى عظيمة هائلة.

ولقد عرف هاتين الحاستين أناس قلائل ، وأخذوا فى تنميتهما منذ حقب سحيقة وأزمان بعيدة ، وستغدوان فى نهاية الأمر ، ومع مرور الزمن ، عاديتين وطبيعيتين فى استعمالهما لدى كل شخص ، كاستعمال البصر فى الوقت الحاضر . ويمكن تهذيبهما وتنميتهما حالياً فى أى شخص يكون على استعداد لتحمل بعض صنوف من التعب والمضايقة والإرهاق . وهما ليستا مجرد « هبات من الله » ، ولكنها يمكن أن تستعملا بطريقة فعالة فى الحياة اليومية العادية ، كالمجريات المألوفة فى تحصيل العلم والمعرفة . وليس هناك شيء مما يعتبر غامضاً أو مبهماً أو معجزاً بشأنهما .

وليس فى نيتى هنا أن أحاول استمالة أى إنسان أو إغرائه بهذه القوى ، أو إقناعه بوجودها . فالبينة على ذلك عامة شاملة لكل شخص راغب فى التأكد من وجود الحقائق والتثبت منها . أما المرتابون والمتشككون ، والذين لايصدقون ، والجهلاء ، فيسخرون من أى حادث ويهزون أكتافهم ساخرين .

فإلى المخلصين ، المؤمنين ، الراغبين فى معرفة الحقائق ، والذين يتطلعون إلى تنمية هذه القوى فى أنفسهم ، أتوجه بهذا الحديث ، وأخصهم به دون غيرهم . .

قوى المكاشف :

إن هاتين القوتين القديرتين هما الجلاء البصرى Clairvoyance والجلا السمعى Clairaudience : الأولى امتداد لحاسة بصرنا ، ويطلق

عليها : البصرة ، أو الاستشفاف . أو المكاشفة الباطنية . وهى قوة رؤية الأشياء أو الحوادث غير المنظورة ؛ والأخرى امتداد لحاسة سمعنا وإدراكنا وفهمنا . ومع أن هاتين الحاستين لا تنقلان ولا توصلان مطلقاً الفكرة الكاملة لإمكانياتها ، إلا أنهما مع ذلك ، قد وجدنا ما يماثلهما مماثلة دقيقة فى كل من اللاسلكى والتليفزيون اللذين كانا يعتبران من المعجزات منذ ٥٠ سنة مضت ولكنهما قد انتشرا الآن انتشاراً واسعاً فى جميع بقاع العالم وأصبح من المعروف أنهما نتيجة طبيعية نشأت من استعمال قوانين علمية معروفة.

وعن طريق الجلاء البصرى ، أو المكاشفة ، كما سنسميها فى هذا البحث ، تُرى الأشياء عن بُعد حتى ولو كانت على مسافة آلاف من الأميال ، ولكن ليس بالعينين . ويستطيع الشخص عن طريقها أيضاً أن « يقرأ » كتاباً مغلقاً . فهى ملكة تحصل بدون توسط الدماغ والحواس . أو قل إنها قوة « رؤية » أى شىء أو أى جسم من جميع جهاته فى آن ، لا من جهة واحدة فقط كما هو المتبع بفعل البصر الطبيعى . كما يستطيع الشخص أيضاً عن طريق هذه القوة ، أن يضع نفسه فى داخل مكان مغلق حيث يشاهد منه ما يجرى فى الخارج ، وما يدور فى الحياة من حوادث .

الفنون والعلوم الغامضة :

ويتحتم علينا هنا ألا نخلط بين هذه القوى الطبيعية الموجودة فى الشخص ، وبين القوى والظواهر الغامضة الأخرى التى يوجد منها الكثير ، مثل :—

التلباثى :

أو التخاطر telepathy ، وهو إيصال التأثيرات على اختلاف أنواعها من عقل إلى عقل آخر عن غير طريق الحواس المعروفة . ويحدث التلباثى أو الاتصال العقلى بين عقلين أحدهما « محطة إذاعة » ، والآخر « محطة استقبال ». وقد تكون المحطتان متقاربتين أو متباعدتين تفصل بينهما البحار والمحيطات . ومع ذلك فليس البعد عائقاً عن هذا الاتصال العقلى ، لأنه يتم بطريقة باطنية تعجز الحواس العادية عن القيام بها .

يقول « هكتور دورويل » الأستاذ المعروف فى العلوم المغنطيسية والروحية الحديثة ، فى كيفية انتقال الأفكار :

« إن الفكر الوارد إلينا يورث اهتزازات فى الجواهر الذهنية ، وهذه الاهتزازات تتوسع وتتموج فى أطرافنا بصورة تماثل الدوائر وتشابه الموجات التى نشاهدها فوق سطح الماء الراكد إذا أُلقى فيه حجر . » . ويقول :

« إن أفكارنا التى تشكلت من عناصر مثالية ، والتى أُحييت وانتعشت بالقوة المنبثقة من العقل ، هى فى اهتزازات دائمية ، ولكن دماغنا المادى يتكون من عناصر كثيفة ، فلذلك لايقدر أن يهتز ويتموج بصورة سريعة متحداً مع عناصر الدماغ الباطنى . إن هناك اتصالاً وارتباطاً بين الأفكار، وهو أمر واقعى ، ولكن هذا الاتصال لايكون رأساً وبصورة بسيطة كما يتصوره الإنسان » .

المسمرية : Mesmerism

ومثلها التنويم المغناطيسى Hypnotism : يمثلان القدرة على تحكم الإنسان والتأثير فى إرادته بكيفية فعّالة ، أو فى إرادة شخص آخر بعوامل التأثير المغنطيسى ويكون حينئذ أقرب شىء إلى « السحر الأبيض » .

وبواسطة التنويم المغنطيسى يتمكن الإنسان من وضع الوجدان الباطنى فى حالة الحركة والشعور . فلذلك إذا سُئل الإنسان وهو فى هذه الحالة عن أمور يكتمها فإنه يتحدث عنها بدون احتراز ، وإذا كانت روحه قوية فإنها تجول فى فضاء العالم المثالى ، وترى أموراً كما يرى النائم فى منامه عادة . ويمكن بواسطة التنويم شفاء كثير من الأمراض النفسية والعصبية .

السيكومترى : Psychometry

تعقب الأثر أو القياس الروحى : ملكة تمكن العقل الباطن من إدراك ما اقترن بشىء ، من بيئات وأحوال ماضية . فإذا قدمت لصاحب هذه القوة الباطنة شيئاً استطاع أن يحدثك عن الظروف التى اجتاز بها والحوادث التى مرّت عليه ، إلخ . . وعن طريق هذه القوة يمكن الشخص أن يتصل بتاريخ حياتك الماضية اتصالاً باطنياً ، فيسرد حوادثها كما لو كان يقلب صفحاتها إلى الوراء . ويمكن بهذه الطريقة معرفة تاريخ الأجداد من رؤية أحفادهم ، والوقوف على أحوال عائلة من مخلفاتها .

الوساطة الروحية : mėdiumship

وهى موهبة تسمح لوسيط أن يسمح لكائن من العالم الآخر بأن يحتل جسده ليستعمله فى التحدث والعمل من خلاله . ودور وسيط الأرواح لايعدو دور وسيط التنويم المغنطيسى . وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لإرادة منوم لم يتخل عن جسده المادى بعد ؛ أما الأول فيخضع لإرادة منوّم قد تخلى عن جسده المادى « بالوفاة » .

تأثير « الضفيرة الشمسية أو الهالة » Aura : وقواها لدى الشخص ، والتى تمتد وتنتشر لمسافة ١٢ إلى ١٨ بوصة وراء الجسد الفيزيقى .

الذاكرة الروحية : لحيوات وأحداث الماضى والمستقبل Spiritual memory : ولهذه الذاكرة صبغة معينة ، وذلك أن صاحبها يكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بالمدركات التى تبصرها العين أو تسمعها الأذن ، وأكثر قدرة على تذكر وتتبع الحركات والتنقلات التى تجرى تحت حواسه .

البصر الروحى أو الكوكبى : Astral sight ووظائف أخرى لجسم الإنسان الروحية والعليا .

علم الإشعاعات الحيوية غير المنظورة : Radiésthesie

ويقوم بدراستها عن طريق التوافق البندولى وله استخدامات معينة فى تشخيص بعض الأمراض وعلاجها والتعرف على أمكنة الأشياء المخبوءة .

علم الكف : Palmistry وهو علم أسرار قراءة خطوط الكف التي يستدل بها على ماسيلقاه الناس فى المستقبل من السعد أو النحس . ولقد درس فى الأجيال الأخيرة درساً دقيقاً ؛ وتوصل الباحثون فيه إلى نتائج لاتخلو من فائدة .

الفرينولوجيا أو فراسة الدماغ : phrenology أو علم معرفة القوى العقلية بالنظر إلى الجمجمة وشكلها . وقد وضعت قواعد هذا العلم على أساس التجارب والاختبارات . وبهذه القواعد يمكن معرفة مواهب الناس وأخلاقهم بالنظر فى أشكال رؤوسهم ، وملاحظة مافيها من البروز والتسطيح والسعة والضيق ونحو ذلك . ولابد لدارس « الفرينولوجيا » من الإلمام بتشريح الرأس ، ومعرفة ما يتألف منها من الأعضاء وأشكالها ووظائفها .

علم التنجيم : Astrology ويبحث عما ينشأ من التأثيرات الفلكية الناجمة عن الأجرام السماوية عند تقلب الشمس والقمر ، والسيارات فى البروج الإثنى عشر ، واتصالات هذه الأجرام بعضها ببعض ، وأثر هذه الكواكب على حوادث الناس على الأرض .

الأحلام : Dreams وهى حالات نفسية تشتمل على مانراه فى نومنا من صور وتمثلات غريبة فى الترتيب وعجيبة فى الظهور . وهذه لاتتركب دائماً

---

(١) كتاب « الأحلام والرؤى » للمؤلف بسلسلة « اقرأ » رقم ١٦٦ .

من الأشياء والشئون المعلومة لدينا فى اليقظة بل قد تكون أشياء وأمور أنجهلها تماماً ، ونماذج وأشكال أخرى من التجارب والخبرات اللاشعورية

• • •

إن المكاشفة يمكن أن تنتسب إلى كثير من تلك التى ذكرناها جميعاً أو إلى ظواهر أخرى غيرها . ولكنها ليست محدودة بأى منها ، فهى قوة عند الإنسان يمكنه بها أن يرى الأشياء والحوادث غير المنظورة ، وإنها لقدرة يتمكن عن طريقها من استعمال أو عدم استعمال إحدى الطرق السابقة من أجل اكتساب المعرفة . وإنها لذات قيمة كبيرة لاتقدر للأغراض البسيطة اليومية من شئون الحياة. كما أنها ذات فائدة جليلة للحصول على القوى الغامضة والشعور السماوى المقدس.

مجال البحث :

إن أحدث وأبسط تعبير للمكاشفة هو الحدس الذى يصل المرء بواسطته إلى الإدراك المباشر ، أو الحكم السريع ، أو الاستنتاج المباشر الفجائى ، وذلك عن طريق علامات طفيفة ، أو مقدمات لايدركها إدراكاً شعوريا واضحاً ، وبدون وسيط روحى عاقل أو منطقى « يشعر » الشخص بأنه مقتنع ببعض الحقائق ، التى ستقوى مع الزمن وبقوة الإدراك . وفى النهاية تبرهن التجربة الفعلية على صدق الهمسة inkling أو الإلهام hunch . .

فالغريزة عند الحيوان ، والقدرات العجيبة التى تمتاز بها بعض الفصائل

من المملكة الحيوانية كعادات الضوارب والقواطع من الطيور والأسماك ، من المحتمل أن تكون عادات بدائية لهذه الملكة .

ومشكلات مايحدث فى أثناء النوم ، وماقبل الولادة وما بعد الممات ، ومسألة وجود حياة فى كواكب أخرى ، كل ذلك من بعض الأشياء التى قد لايخفى أمرها عن المكاشف .

وكثيراً ماتتم تجربة هذه الملكات بطريقة شاذة مخالفة للمألوف ، تحت تأثير التنويم المغنطيسى ، أوفى حالة توتر الأعصاب ، أوفى حالات التهيج الشديد أو الخوف أو العذاب . وعند كثير من الناس تجارب غريبة ، محيرة ، وغير مألوفة مما لايمكن شرحه — الآن — أو تفسيره فى معرفة هذه القوى الأخرى .

كيف تنمى المكاشفة ؟ :

يمكن تنميتها كأية موهبة أخرى بكثرة الاستعمال وطول التجربة والمران . ويمكن للفرد أن يبدأ تدريجيا فى الاعتماد على الحدس : يفحص ويجرب ، ويكرر الفحص والتجربة — ثم يراقب ليرى أين يكون الضعف الذى ينشأ عنه الخطأ — ومتى يركن إلى الحدس ويعوّل عليه ويؤيده العقل والفهم والإدراك .

ومهما يكن ، فالجسم على وجه العموم ، يمكنه أيضاً أن يكون أكثر حساسية ، وأكثر مرونة ، وأكثر رقة واتزاناً ، باجتناب كل ما هو فظ أو غليظ أو مبتذل أو كريه أو بشع أو موهن للعزيمة .

فالتدخين وشرب الخمر وأكل اللحوم بكثرة ، والإفراط فى الجنس ، قد يؤدى إلى جعل الجسم الفيزيقى فظا ، جافياً ، كما أنه يجعل التحسن والارتقاء والنضج والانتفاع بهذه القوة امراً عسيراً .

أما الهدوء ، والسكينة ، والدعة ، والسلام ، والصفاء ، والابتهاج واللطف ، والرقة مع الجميع ، وإنكار الذات ، والصلاة من القلب ، فهى من الصفات التى تعمل على ان يكون الأمر سهلاً ميسوراً . وأما التركيز والتأمل والتدريبات المماثلة فلها أهميتها ونفعها الكبير .

أما وقد اعترفت العلوم الحديثة اليوم بوجود الأثير والموجات الأثيرية فقد أزيل بذلك أحد الأسوار الأولى التى كانت حاجزاً يحجزها عن هذه الحالات الداخلية من الشعور . وعلى طول هذا المسار يجب أن يتابع العلم تحقيقاته ، ويتعقب استقصاءاته إن أراد أن يكتشف أعظم الكنوز التى تقع أمام الارتقاء الإنسانى .

الوضع القانونى :

ولما كانت هناك جهود يحددها القانون ويقيدها ، فقد كان استعمال هذه القوى فيما مضى غير مسلم به . فأولئك الذين كانوا يمارسون هذه « الفنون الغامضة » تحت قوة السحر والعرافة عام ١٧٣٥ ، وأفعال الأفاقة فى عام ١٨٢٤ مما أخفى على ممارسيها جميعاً ألقاب : الأفاقين ، والدجالين والمشعوذين ، كانوا عرضة للغرامات المالية الفادحة ، والسجن فى بعض الأحيان .

ومن حسن الحظ أن هذه الأعمال التى كانت وسيلة للدجل والاحتيال ولم تحظ بعناية العلماء فى الماضى ، قد تطورت وأصبحت اليوم بجهود العلماء والمفكرين علوماً منسقة لقيت نجاحاً وتأييداً من الدوائر العلمية ، وأضحت من الحقائق التى أكدتها الوقائع الملموسة والمؤيدة بالدلائل والبينات على أنها تنير للإنسان طريق الحياة فى نواحيها الغامضة ، وتمهد له سبل السعادة والهناءة فى كل مجال .

ومما يبعث السرور فى النفس حقا أن علماء الأبحاث الروحية المعاصرين يدرسون الظواهر الغريبة فى ضوء القوانين العلمية الثابتة دراسة عملية تجريبية لا لغرض شخصى بل لأجل كشف حقائق ذلك العالم الروحى الرحيب . وهم يتواضعون فى مطالبهم ولا يدعون عمل العجائب والخوارق ، بل يقنعون بما يبدو لهم من الظواهر الغريبة حتى ولو أصبحت أموراً مألوفة لا توجب الدهشة والاستغراب.

وحيث أن هذه الأبحاث الروحية دخلت فى طور جديد ، واتجهت عناية العلماء لتطبيقها فى الحياة العملية فى هذا العصر المادى ، وظهرت فوائدها للمجتمع الإنسانى ، فكل ذلك أصبح مما يضمن تقدمها بخطوات أوسع مما كانت إلى يومنا هذا . .

وجدير بالذكر هنا أن ننوه عن موقف القانون فى الوقت الحاضر إزاء هذه العلوم ، فقد رأيناه يقف بجانبها مناصراً لها ، مدافعاً عنها ، مشيداً بها ، إذ أصدرت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة فى مصر حكمها بالسماح لجمعية روحية بمزاولة نشاطها فى بحوثها وفى معالجة النفس

بالروحانيات بعد أن كانت محافظة القاهرة قد قررت إغلاقها ورفض تسجيلها.

وكلما أسرع القانون فى قبول شرعية هذه البحوث والاستقصاءات فى تفهم وإدراك الظواهر الروحية والغيبية ، كلما كان إدراكنا أقرب لتفهم معنى الآيات الكريمة : « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ومانتزله إلا بقدر معلوم » و « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » و « سأريكم آياتى فلاتستعجلون» .

وإذن فواجبنا جميعاً هو معالجة هذه الأمور بما تستحقها من عناية فائقة ، ودراسة مايتصل بها من بحوث دراسة جادة حسب الأصول العلمية ، لاباحتقار وازدراء ، ولابتعصب وتزمت ، ولا بعدم مبالاة وقلة اهتمام مما كان يقترن بهذه المسائل فى الماضى .

«إذا رقينا مالدينا من القوى المستكنة فى نفوسنا ، واتصلنا بواسطتها بالعالم غير المنظور ، عالم القوة والجمال والنور ، عالم الحقيقة العالية ، والسمو الأسنى . . وإذا استطعنا أن نتحدث عن هذه القوى عن معرفة وخبرة ودراية . . وإذا راعينا بدقة شروطها ، فستكون ثمة خطوات فعالة يمكن اتخاذها فى سبيل تهذيبها وتنميتها تنمية عامة فى كل مدرسة وكلية وجامعة. وذلك حتى تفتح لنا باباً جديداً أنلج منه إلى ساحة جديدة من الحياة لم نكن نتصورها من قبل ، وما ذلك على طلاب الحقائق بعزيز .

وإنى لعلى يقين من أن هذا سيتم فى وقت قريب ، وسيحمل معه ثروة ضخمة من العلم والمعرفة ، ونبعاً ثرياً من النور واليقين والإيمان ، وحلاً لكثير من مشكلات الحياة العويصة التى لم تهتد البشرية لحلها

الفصل التاسع

دراسة فى العلم الروحى

لقد أشرنا فى الفصل الرابع من هذا الكتاب إشارة عابرة إلى عالم من العلماء المبرزين الذين اشتركوا فى البحوث الروحية هو « آلان كاردك » Allan Kardec (١٨٠٤–١٨٦٩) . ولعله أبرز فيلسوف فرنسى فى موضوع الأرواح حتى الآن — وهذا ماجعلنا نفرد له هذا الفصل الخاص «وكان طبيباً وعالماً تربويا»، واصل بحث هذا الموضوع لسنين طويلة داخل جمعية روحية أنشأها خصيصاً كانت تضم صفوة من أهل الأدب والفكر . كما كان ينشر نشاط واتصالات هذه الجمعية مع الأرواح فى مجلة أنشأها لهذا الغرض اسمها «المجلة الروحية»(١). وله مؤلفات عديدة تعد من أفضل المراجع فى هذا الموضوع . كما وضع عدة كتب فى مادة التربية (٢) لا تزال مراجع هامة حتى الآن فى الجامعات الفرنسية .

وقد نظم دروساً بمعاونة زوجته — وكانت مثقفة مثله — فى الفيزياء والفلك والتشريح . ثم بدأ بحوثه فى موضوع العلم الروحى الحديث منذ أوائل العهد به فى سنة ١٨٥٤ عن طريق أحد أصدقائه الذى كان

---

(١) La Revue Spirite.

(٢) Pedagogie.

والداً لوسيطتين قويتين . وفى إحدى الجلسات الأولى طلبت منه روح مرشدة كانت ترمز إلى نفسها « روح الحقيقة » أن يستعير اسم « آلان كاردك » الذى كان اسمه السابق عند تجسده الأرضى أيام « الدرويد » (١) كما أخبرته . طالبة منه أيضاً أن يواظب على جلساته الروحية . ومنذ هذا التاريخ اهتم بموضوع الأرواح هذا . وكان اسمه الأصلى « هيبوليت ليون دنيزارريفاى » (٢) .

ومن أهم مؤلفات آلان كاردك « كتاب الأرواح » (٣) الذى ظهر فى أبريل سنة ١٨٥٧ وترجم إلى جميع اللغات ماعدا اللغة العربية وطبع منه حتى الآن أكثر من أربعين طبعة باللغة الفرنسية . ثم ظهر له « كتاب الوسطاء » (٤) فى يناير سنة ١٨٦١ ، ثم كتاب « الإنجيل طبقاً للروحية » فى أغسطس سنة ١٨٦٤ . ثم كتاب « التكوين » فى يناير سنة ١٨٦٨ ثم « مؤلفات مابعد الموت » و « الجنة والنار » و « تعريف عملى بالظواهر الروحية » . ..

ولما كان « لكتاب الأرواح » هذا قيمة روحية كبيرة ، إذ أنه يشتمل على مبادىء الفقه الروحى عن خلود الروح ، وطبيعة الأرواح وعلاقتها بالأشخاص وبالقوانين الخلقية التى تدعو إلى الخير فى حياة

---

(١) Druides .

(٢) عن « الإنسان روح لاجسد » الجزء الثانى ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

(٣) Le Livre Des Esprits .

(٤) Le Livre Des Mediums .

الحاضر والمستقبل . وتبشر بالخير لمستقبل البشرية جمعاء . حسب التعليمات المعطاة من الأرواح العالية عن طريق وسطاء مختلفين — فقد نقل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى مؤلفه الذى سماه بنفس الاسم (١) طرفاً من بحوث « آلان كاردك » مبينا كيف أن مابها من تعاليم خلقية سامية ، ومن تفاصيل دقيقة عن الثواب والعقاب ، تتفق مع التعاليم الدينية ، ومدللاً على ذلك بقدرة الفقيه المتبحر ، والعالم صاحب التفاسير القيمة التى ينظر إليها فى العالم الإسلامى كله بعين التقدير التام .

ونحن نقدم هنا « دراسة فى المذهب الروحى » كتبها الرائد الروحى « آلان كاردك » بمثابة مقدمة لمؤلفه القيم « كتاب الأرواح » تشتمل على مبادئ ونظم كان مشكوكاً فيها ، وأصبحت اليوم من الحقائق الملموسة ، التى لا يصح أن يتطرق إليها أى شك .

والتاريخ من جانبه أثبت لنا أن أغلب هذه المبادئ قد مارسها وزاولها رجال من العظماء فى الأزمان القديمة والحديثة . وإنه ليقدم لنا هنا تأكيداته على ذلك : يقول آلان كاردك فى مقدمته هذه : (١) —

« للأشياء الجديدة ، يجب أن تكون هناك مسميات جديدة . . . وهذا يتطلب — بطبيعة الحال — وضوحاً فى المعنى . وجزالة فى اللفظ ،

---

(١) راجع « كتاب الأرواح » للشيخ طنطاوى جوهرى طبعة ١٩٢٠ ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) لا يفوتنى أن أنوه هنا بالمجهود الكبير الذى بذله معى الزميل الأستاذ جورج مرزوق فى ترجمة هذا النص من اللغة الفرنسية التى لا أتقنها تماماً .

وسلاسة فى الحديث ، لتحاشى الخلط والتشويش فى المعانى المختلفة فى الموضوعات نفسها .

وكلمات : « روحى Spiritual » و« عالم روحى Spiritaualist» و « فقه أو علم روحى Spiriualisme » فيها بعض اختلافات محددة ليعطى كل منها جديداً من المعانى لتطبيقه على فقه الأرواح doctrine spirite ، هو مضاعفة الأسباب العديدة فى التورية أو التباس الكلام .

« والروحية» فعلاً عكس ذلك . فضلاً عن أنه من المعتقد أن فى الإنسان شيئاً آخر خلاف المادة يمت بصلة قوية إلى الروحية ، ويؤمن بوجود الأرواح واتصالاتها بالعالم المنظور . وبدلاً من استعمال كلمتى « روحى » و« علم روحى » سنستعمل للتعبير عن هذا الفقه الأخير كلمتى : « روحى » و« روحية » اللتين تذكراننا بصيغتيهما : الأصل والمعنى الأساسى . وبذلك يكون التعبير واضحاً ومفهوماً مع احتفاظه بكلمة « العلم الروحى » وبفاعليتها الذاتية . .

« ومن هنا كان للفقه الروحى أوالإيمان بالروح مبادئ علاقات عالم مادى مع أرواح أو كائنات أو سكان عالم غير منظور . والذين ينتمون إلى الروحية يطلق عليهم « روحيون » ويمكن أن نسميهم — إذا أردنا — « روحانيين» .

* * *

وثمة كلمة أخرى يتحتم علينا أيضاً أن نتفاهم فى معناها ، لاعتبارها

أحد المفاتيح التى يرتكز عليها كل مذهب أدبى أو خلقى Morale وهذه الكلمة تحتوى على مجموعة من المتناقضات ، لعدم قبول معنى محددلها . هذه الكلمة هى«نفس» AME . . واختلاف الآراء حول طبيعةالنفس يأتى من التطبيق الخاص الذى يحدده كل فرد من هذه الكلمة . وإن لغة كاملة ، أو أية فكرة يقدمها منهج خاص أو معنوى تتفادى مناقشات عديدة ، وإن لكل شيء اسماً متفقاً عليه . .

والنفس حسب رأى البعض ، هى أساس الحياة المادية العضوية ، وليس لها وجود ذاتى ، وتنتهى بانتهاء الحياة ، وهذه تسمى بالمادية المحضة .

وفى هذا المعنى وبالمقارنة ، يقول هذا البعض إن الأداة أو الآلة المشروحة التى لايصدر عنها صوت ، ليس لها نفس ، ومن هذه الآراء مايعتبر النفس نتيجة لاسبباً .

ويرى آخرون أن النفس ، وهى أساس العقل أى القوة المدركة ، عامل عالمى يستمد كل كائن جزءاً منها . ومن رأى هؤلاء أنه لايوجد فى الكون سوى نفس واحدة فقط تنتشر منها شرارات توزعهابين مختلف العقول طوال مدة الحياة . أما بعد الموت فتعود كل شرارة إلى المنبع العام المشترك ، حيث تندمج فى الكل . فهى أشبه بالروافد والأنهار التى ترجع مياهها إلى البحر من حيث أتت . وتختلف هذه الآراء عن سابقاتها ، فإننا — حسب هذا الاعتقاد — يوجد فينا ماهو أكثر من المادة ، وأن شيئاً مايظل باقياً فينا إلى مابعد الموت . ولكن هذا أيضاً يعنى أن شيئاً لن يبقى ، فلعدم وجود فردية لايوجد لدينا شعور بأنفسنا .

ومعنى هذا الرأى أن النفس العالمية العامة إن هى إلاّ الله ، وكل كائن إنما هوجزء منبثق من الذات العلية . وهذا شبيه بالرأى القائل بوحدة الوجود .

وثمة آخرون يرون أن النفس كائن خلقى بارز مستقل عن المادة . ويحتفظ بفرديته إلى مابعد الموت . وهذا المعنى ، بدون أى اعتراض ، أكثر شيوعاً . لأنه تحت اسم أوآخر يعتبر فكرة هذا الكائن الذى يعيش فى الجسد ، وأنه فى حال من الاعتقاد الإلهامى ، مستقل عن كل تعليم عند الشعوب مهما تكن درجة مدنيتها . والنفس — فى هذا المذهب — هى السبب وليست النتيجة ، وهذا هو الرأى السائد عند الروحيين .

وبدون أى نقاش أو محاولة جدال فى هذه الآراء وتلك المعتقدات وبدون أى اعتبار للناحية الدراسية للغة الأشياء : نقول إن هذه التطبيقات الثلاثة لكلمة « نفس » ، نجد أمامنا ثلاثة آراء مختلفة يتطلب كل منها منهجاً خاصاً يختلفا عن الآخر . ولقد لقيت هذه الكلمة قبولاً وتسليماً ثلاثيا . كل منهم له رأية من وجهة نظره الخاصة لتحديد مايتقدم به : والعيب هنا إنما يرجع إلى اللغة التى ليس لها إلاّ كلمة واحدة للمعانى الثلاثة . .

ولتحاشى كل الاحتمالات يجب تضييق المجال فى مراعاة كلمة « نفس » عند كل من الآراء الثلاثة . والمهم هوأن يجتمع الكل على كلمة سواء ، ولا يكون هناك سوى الاتفاق على « اصطلاح » .

« والذى نراه صواباً فى هذه الناحية هوأن نرضى بقبول المعنى المشترك العادي . فنعرّف « النفس » بالكائن غير المادى ، المستقل ، المنفرد ،

الذى يكمن فينا ، والذى يعيش ويستقر فى الجسد . وهذا الكائن قد لايكون موجوداً ، وقد يكون من نسج الخيال ، حتى ليتطلب الأمر إيجاد تعريف له أو اسم يطلق عليه لتعريفه .

ولعدم توافر كلمة خاصة لكل من النقطتين الأخريين نسمى المبدأ الحيوى Principe Vital مبدأ الحياة المادية والعضوية مهما يكن المصدر . وهو مشترك فى سائر الكائنات الحية ابتداء من النبات حتى الإنسان . وقد توجد الحياة متجردة من خاصية الفكر ، والمبدأ الحيوى عبارة عن شىء متميز ومستقل .

وكلمة « حيوية » Vitalité لاتعطى نفس المعنى أو الفكرة . والمبدأ الحيوى فى رأى البعض من خصائص المادة ، أى أنه العامل المتكون عندما تكون المادة فى حالات محددة معروفة ؛ وعند البعض الآخر — وهى الفكرة الأعم — أن هذا المبدأ موجود فى سيال خاص ، ومنتشر فى الكون جميعاً . وكل كائن يمتص (يشتق) منه جزءاً ويستوعبه فى أثناء الحياة ، كما هو مشاهد فى الأجسام العديمة الحركة عندما تمتص الضوء . وعلى ذلك يكون هذا المبدأ هو السيال الحيوى الذى هو ، بحسب بعض الآراء ، ليس إلا السيال الكهربى المتحيون أى المتحول إلى حيوانية animalisé والمعروف كذلك باسم السيال المغنطيسى والسيال العصبى ، إلخ . .

وعلى أية حال ، فهذه حقيقة لايتسرب إليها أى شك ولاتدع مجالاً للجدل أو المناقشة ، إذ أنها نتيجة ملاحظة هامة ، وهى أن الكائنات العضوية تحتوى فى صميمها على قوة تهب ظاهرة الحياة طالما كانت

هذه القوة موجودة ؛ وأن الحياة المادية شاملة لجميع الكائنات العضوية ، وأنها مستقلة عن الإدراك والفكر، وأن الإدراك والفكر هما خاصيتان لبعض أنواع العضويات . وأخيراً إن بين أنواع العضويات التى تتمتع بالإدراك والفكر واحدة ذات إحساس خلقى خاص يعطيها تفوقاً لانزاع فيه على الأخرى ألا وهى النوع البشرى .

وقد يُفهم من عدة مفاهيم أو معان أن « النفس » (بهذا المعنى) لاتستبعد المذهب المادى ولا مذهب وحدة الوجود .

والروحانى نفسه يمكنه أن يتفهم النفس جيداً حسب أحد التعريفين أوحسب أحدهما بدون مساس بالكائن غيرالمادى المتميز والذى يطلق عليه حينئذ أى اسم . ومن ثم فإن هذه الكلمة ليست نتاج رأى من الآراء ، وإنماهى كلمة مطاطة، فضفاضة، كل يوفقها على أسلوبه . . ومن هنا كان ذلك مصدراً لمنازعات لانهاية لها . وينبغى لنا فى ذات الوقت أن نتجنب الخلط باستعمالنا كلمة « نفس » فى الحالات الثلاث ، بإضافة صفة أو نعت يحدد وجهة النظر التى تتراءى لنا منها أو التطبيق الذى نستعمله . وستكون بذلك كلمة نوعية تمثل فى آن واحد مبدأ الحياة المادية، والإدراك ؛ والمعنى الخلقى ، الذى نميزه بصفته كما هى الحال مثلاً بالنسبة للغاز الذى نميزه بإضافة الكلمات : هيدروجين ، أوأوكسجين ، أوأزوت .

وحينئذ يمكنا أن نقول ،وقد يكون ذلك من المستحسن «النفس الحيوية» L'âme Vitale لمبدأ الحياة المادية ؛ و « النفس الإدراكية » L'âme intelletuelle لمبدأ الإدراك؛ و « النفس الروحية» L'âme Spirite لمبدأ

فرديتنا بعد الموت. وكما يتضح لنا أن كل ذلك ليس إلاّ مسألة كلمات. إلاّ أنها مسألة فى غاية الأهمية من أجل التفاهم. ومن هنا نستنتج أن « النفس الحيوية » إنما تكون عامة بالنسبة لكافة الكائنات العضوية مثل النباتات والحيوانات والإنسان؛ و« النفس الإدراكية » إنما تكون خاصة بالحيوان والإنسان؛ وأمّا « النفس الروحية » فيختص بها الإنسان وحده.

ولقد كنا نعتقد بضرورة التأكيد على هذه الشروح بأن المذهب الروحى يستند — بطبيعة الحال — إلى وجود كائن فينامستقل عن المادة تماماً، ويظل باقياً على قيد الحياة بعد فناء الجسد. وسوف تتكرر كلمة « نفس » كثيراً فى هذا الكتاب. ومن ثم يتعين علينا أن نحدد المعنى حينما نستعملها لتجنب أى لبس.

* * *

ولنقدم الآن على الموضوع الأساسى لهذه التعاليم التمهيدية:

إن العلم الروحى كأى شىء آخر جديد له أنصاره ومعارضوه. وسنحاول هنا الرد على بعض اعتراضات هؤلاء الأخيرين، مفندين الدواعى التى يستندون إليها. ولا ندّعى أننا سيمكننا أن نقنع الجميع، فمنهم من يتوهم أن النور إنما خلق لهم وحدهم. وحسبنا أن نتوجه إلى الأشخاص ذوى النية الحسنة، ممن ليس لديهم أية فكرة سابقة عن الموضوع؛ وعندهم الرغبة الصادقة فى أن يتعلموا أو يزدادوا علماً. ونوضح لهم أن أغلب الاعتراضات على هذا الفقه إنما هى ملاحظات مبتورة غير كاملة عن الحوادث، جعلت حكمهم منطوياً على كثير من التسرع والاندفاع.

ونذكر أولاً فى كلمات قليلة ، المجموعة التصاعدية للظواهر التى بشرت بميلاد هذاالفقه الجديد .

لقد كان أول حادث اجتذب الأنظار ونبه الأذهان للاهتمام به هو وجود أشياء تتحرك من تلقاء نفسها ، فسميت حينئذ بوجه عام — باسم « الموائدالدائرة » Tables tournantes أو « رقص الموائد » Danses des tables . وظهرت هذه الظاهرة أول الأمر فى أمريكا — أو بمعنى أصح تجددت فى هذه المنطقة . لأن التاريخ يثبت أن هذه الظواهر ترجع إلى زمن موغل فى القدم — وكان حدوثها مصحوباً بظروف غريبة كصدور أصوات غير عادية ، وكضربات منتظمة وذلك بدون سبب واضح معلوم . ثم انتشرت هذه الظواهر بسرعة فى أوربا وفى أنحاء أخرى من العالم ، فأثارت فى بادئ الأمر كثيراً من عدم التصديق ، ولكن سرعان ماتعددت التجارب والاختبارات فبددت الشكوك وأكدت صدق هذه الحقائق وجديتها .

ولو كانت هذه الظاهرة قاصرة على تحريك الأشياء المادية فقط لأرجعنا تفسيرها إلى سبب طبيعى محض . ولكنا بعيدون كل البعد عن معرفة كل العوامل الخفية للطبيعة وجميع خصائص العوامل المعروفة لنا . فالكهرباء مثلاً تضاعف كل يوم إلى مالانهاية الموارد التى يستمدها الإنسان منها . ولا شك أن تكون الكهرباء قد امتدت إليها يد التعديل عن طريق ظروف خاصة ، أو أن عاملاً ماغير معروف لنا كان السبب فى هذا التعديل.

إن اجتماع أشخاص عديدين من أجل زيادة القوة الفعالة للظاهرة ، ليبدو تأييداً لهذه النظرية ، ويمكن اعتبار هذا الجمع بمثابة بطارية متعددة

القوى حسب عدد العناصر .

أما الحركة الدائرية فلم تك أمراً عجيباً . ففى الطبيعة ، نعرف أن الكواكب تتحرك دائريا . وقد يكون هناك انعكاس فى الحركة العامة للكون ، أو قد يكون ثمة سبب غير معروف حتى الآن يمكن أن يكون سبباً فى تحريك الأشياء عرضاً وفى ظروف معينة فى مجال يشبه المجال الذى يجتذب الكواكب .

ولكن الحركة لم تكن دائماً دائرية ، وإنما كانت الأشياء فى الغالب متقفزة ، وكثيراً مايصحب هذه الحركة عنف شديد ، فتارة تنقلب رأساً على عقب ، وتارة أخرى يُقذف بها فى اتجاهات غير محدّدة . وبخلاف كل قوانين الطبيعة كانت الأشياء ترتفع عن الأرض وتظل معلقة فى الهواء . وليس هناك حتى الآن مايفسر هذه الظاهرة ، وعما إذا كان مصدرها ناشئاً عن قوة عامل فيزيقى غيرمنظور . . ألم تنظر إلى الكهرباء كيف تهدم المبانى وتقتلع الأشجار ، وتقذف بأثقل الأجسام بعيداً ، تجرّها أو تصدّها ؟! . . وإذا افترضنا أن الأصوات غير العادية والضربات المطروقة لاتعدو أن تكون أصواتاً عادية ناتجة عن تمدد الأخشاب أو أى سبب عارض آخر ناتج عن تراكم السيال الخفى ، ألا تحدث الكهرباء أعنف الأصوات؟ . .

ويتبين لنا حتى الآن أن كل هذه الأمور يمكن أن تدخل فى نطاق الحوادث الطبيعية الفيسولوجية المحضة . وبدون خروج عن هذا المحيط فى الآراء كانت هناك مادة لدراسة جادة واعية ، قادرة على تحديد عناية العلماء .

ولمَ لا يكون ذلك كذلك ؟.. إنه لمن المؤلم حقا أن نقول : إن هذا إنما يرجع إلى الأسباب التى تم البرهنة عليها فى آلاف الحوادث المماثلة ، والتى تدل على استهتار التفكير البشرى . والتعميم للشيء والأساس الذى اتخذ قاعدة لأولى الاختبارات لم يكن غريباً . فكم من نفوذ فى الرأى سيطر على أمور ذات خطر كبير ، دون اعتبار إلى أن الحركة انطوت على شيء لا أهمية له . أما فكرة المائدة فقد نشأت ، بدون شك ، لأنها هى الشيء الأنفع لنا من غيرها ، ولأننا نفضل الجلوس عادة حولها لا حول أى أثاث آخر . إذن فالرجال ذوو الشأن الرفيع قد يكونون فى بعض الأحيان مخدوعين .

وليس بمستحيل على بعض الأرواح الراقية أن تصمم بالرغم منها على الاهتمام بما اتفقنا على تسميته « برقص الموائد » ومن المؤكد أيضاً أن الظاهرة التى لاحظها جلفانى Galvani ، لو لاحظها رجال من العامة لاعتبروها شيئاً من الهزل الذى لا يخرج عن المزاح أو السخرية ، واعتبروها كالعصا السحرية . وكم من عالم جاد اعتقد أنه خرج عن مبادئه باهتمامه « برقصة المناضد » . ولقد تفضل البعض متواضعاً بالموافقة على أن الطبيعة لم تقل بعد كلمتها الأخيرة . وأراد هذا البعض أن يرى ويتأكد كيما يرضى ضميره . ولكن ، يبدو أن الظاهرة لم تحدث أمامهم كما كانوا يتوقعون من أنها يمكن أن تأتى حسب هواهم أو حسب طريقة تجاربهم . ولذا فقد أجمعوا على الإنكار . وبالرغم من قرارهم فما زالت الموائد تدور . ويمكن القول مع جاليليو Galileé : « ولكنها مع ذلك تتحرك » .

ونقول أكثر من ذلك إن الحوادث تضاعفت بدرجة كبيرة ، حتى لقد

أضحت اليوم جديرة بالذكر خليقة بالاهتمام . ولم يبق إلاّ إيجاد توضيح لها منطقى ومعقول . فهل يمكن استنتاج شيء ضد حقيقة هذه الظاهرة لمجرد أنها لم تحدث بالطريقة التى يرغبونها حسب هواهم؟ . . هل ظواهر الكهرباء والكيمياء لم تكن مرتبطة إلاّ بشروط معينة ؟ . . وهل لنا أن ننكر هذه الظواهر لأنها لا تحدث خارج حدود هذه الشروط ؟ وهل هناك إذن وجه للاستغراب فى أن ظاهرة تحريك الأشياء عن طريق السيال البشرى لها أيضاً شروطها . . وتتوقف الظاهرة عندما يقوم المختبر بتجربتها حسب وجهة نظره ، عاملاً على توجيهها حسب هواه ، أو إخضاعها لقوانين الظواهر المعروفة بدون اعتبار إلى أن الأحداث الجديدة لها هى الأخرى قوانين جديدة إذن فلمعرفة هذه القوانين يجب دراسة الظروف التى تنشأ عنها هذه الأحداث . ولا يمكن أن تكون هذه الدراسة إلاّ ثمرة ملاحظات مستمرة دقيقة ، وعادة ما تكون طويلة المدى .

ولكن هناك بعض أشخاص يعترض على هذا قائلاً إنه لابد أن يكون ثمة نصب واحتيال فى هذه الأمور . ونسألهم بدورنا عما إذا كانوا متأكدين من وجود احتيال ما ، وعما إذا كانوا يعتبرون هذا فوق قدرتهم فى الفهم . ولا يكونون كالقروى الذى شاهد أحد علماء الكيمياء وهو يجرى تجاربه فى معمله من خلال أنابيب اختبار تحتوى على سوائل ملونة ، يصب من إحداها على ما فى الأخرى فينتج لوناً آخر مختلفاً فصاح قائلاً : « ياله من حاو محتال بارع » !! .

ولنفرض أن نصباً واحتيالاً حدث بالفعل باستعمال هذه الطريقة ،

فهل معنى هذا أننا ننكر الحقائق ؟ هل لنا أن ننكر الكيمياء لمجرد أن بعض الحواة اعتبروا أنفسهم كيميائيين ؟! جدير بنا أن نضع فى حسابنا طباع الأشخاص ، والجدوى أو الفائدة التى يجنونها من استعمال طرقهم فى الغش والتضليل . أهى مداعبة ؟ . . إن اللهو — إذا كان ثمة لهو — لن يلبث إلا لمدة قصيرة . أما إذا طال أمده وزاد عن حده ، فلابد أن تكون عاقبته وخيمة ، ويقع الضرر آنئذ على الخادع والمخدوع معاً . وإذا كانت هذه الظواهر المنتشرة فى أرجاء العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وتقبلها أشخاص لهم اعتبارهم كشخصيات ذات نفوذ وسلطان فى الدوائر الأدبية والعلمية — إذا كانت هذه الظواهر خدعة فماذا يمكن أن نسمى هؤلاء ؟ هل يمكن أن يكونوا مخدوعين ؟ إن كان ذلك فالأمر لا يقل غرابة عن الظاهرة نفسها . وحاشا أن يكون أمثال أولئك المفكرين العظام أغبياء أو يمكن أن ينطلى عليهم الخداع ! . . »

* * *

وإلى هنا نجتزئ هذه الدراسة الممتعة التى كتبها الفيلسوف الكبير « آلان كاردك » عن « الفقه الروحى » مقدماً بها « كتاب الأرواح » . . فالدراسة طويلة ولكنها شائقة ومفيدة استغرقت عدداً كبيراً من صفحات كتابه المطبوع باللغة الفرنسية . . وكتابنا هذا محدودة صفحاته ولا يمكن أن يستوعب الدراسة كلها . . ونكتفى بهذا القدر هنا آملين أن تتاح لنا فرصة أخرى ولعلها قريبة ، نتابع فيها الحديث عن هذه الدراسة فى كتاب آخر خاص بإذن الله . .

الفصل العاشر

دور المرأة فى الوساطة الروحية

لقد كان للمرأة دور كبير فى الوساطات الروحية منذ قديم . ويرجع هذا فى الغالب إلى لطافة جنسها ، ورقة شعورها التى كانت عاملاً فى رقى الأبحاث الروحية . فمن النساء من لم يكتفين بأن يكن وسيطات بل تجاوزن هذا الحد إلى أن كن مرشدات يقتدى بهن ، ويسترشد بنصائحهن جمهور من الرجال والنساء من كل الطبقات .

فمن الوسيطات المشهورات عند العرب فى الجاهلية : طريفة ، وزبراء ، وعفيراء ، وسلمى الهمدانية ، وفاطمة بنت مرّ الخثعمية . ، وهى التى تنبأت أن الرسول العربى الكريم يظهر من سلسلة عبد الله بن عبد المطلب حيث قالت لعبد الله يوما « رأيت فى وجهك نور النبوة ، فأردت أن يكون ذلك فىّ فأبى الله تعالى إلاّ أن يضعه حيث أحبه» وقالت :

إنى رأيت مخيلة نشأت ... فتلألأت بحناتم القطر (١)
ورأيت نوراً قد أضاء له ... ماحوله كإضاءة البدر
لله مازهرية سلبت ... منك الذى استلبت وماتدرى (٢)

وأما النساء اللائى وصلن إلى درجة التكامل الإنسانى الأعلى وتحلين

---

(١) الحنتم : الجرة الخضراء .
(٢) أى من بنى زهرة وتعنى آمنة أمه صلى الله عليه وسلم .

بالرقى الروحى فكثيرات ، منهن رابعة العدوية الشهيرة . وقد روى الإمام المناوى من خوارقها الروحية ، أن لصا دخل حجرتها وهى نائمة فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده ، فوضعها فوجده . فحمله فخفى عليه ، فأعاد ذلك مراراً كثيرة ، فلما عجز احتار فى أمره وأراد أن يولى مدبراً من حيث أتى ، ولكنها نادت عليه : « ياهذا . . إذا لم تجد عندنا شيئاً تأكله وتشربه فلن تضيق بك رحمة الله وفضله ، فأقبل علينا وبين يديك قدْر الماء فتوضأ ، وتعال فصل ركعتين ، لعل الله أن يفتح لك أبواب رزقه » . فدخلت هذه الكلمات قلب الرجل الذى لم يعرف الرحمة من قبل ، وفتحت فيه آفاقاً للعطف والمرحمة . فأقبل يبكى بين يديها نادماً مستغفراً تائباً . ثم قام فصلى ركعتين كما دعته ، ومن يومها انضم إلى موكب العابدين المتبتلين الصالحين..

وهى من النساء الكاملات اللاتى يرجحن محبة الخالق جل وعلا على ماسواه . وفى ذلك تقول :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا ... برياض ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ ... أنا لا أبتغى بحبى بديلا

ومنهن فاطمة النيسابورية ، وهى أستاذة ذى النون المصرى . وقد أعجب بفضلها أبو يزيد البسطامى ، وقال ماحدثتها عن مقام من المقامات إلاّ وكان الخبر لها عياناً .

ومنهن فاطمة بنت المثنى الأشبيلية ، وقد لازم خدمتها الشيخ

محيى الدين بن عربى وأعجب بكمالها . ومن كلماتها التى تحوى على اللب والمعنى الدقيق ، قولها لمريديها «مامنكم أحد يدخل علىّ إلاّ ببعضه ويترك بعضه فى أغراضه من داره وأهله إلاّ محمد بن العربى . فإذا دخل على دخل بكله ، وإذا قام قام بكله ، وإذا قعد قعد بكله ، لايترك خلفه من نفسه شيئاً » . وكانت تتوسل بروحانية فاتحة الكتاب لقضاء الحوائج .

وأما فى عصرنا الحاضر فإن المشتغلات بالروحية كثيرات جداً فى البلاد الغربية ، فمنهن الوسيطة الإسبانية أسابيا بلادينو ، والفرنسية مدام ديسبرانس ، ووسيطة الجلاء البصرى والسمعى أستيل روبرتس ، والوسيطة كاتى فوكس ، ومسزليونور بيير ، ومارى هوليس ، وإميلى فرانس ، ومسز مرسيا سوين ، ومارجرى ، وجريس كوك ، والمرشدة أمس جوليا ، ومس أنى بيزانت رائدة الجمعية الثيوصوفية ، وغيرهن كثيرات . .

وقد أثبتت لنا التجارب أن المرأة مستعدة بفطرتها للوساطة الروحية ؛ وأنها شريكة الرجل فى مجال الخير والحق وتقديم المساعدة للإنسانية فى كل مجال ممكن . .

* * *

ولقد بدأت اليقظة الروحية الحديثة فى نساء الشرق منذ أن أصبح الإلهام من عالم خارجى حقيقة علمية ، بفضل بحوث علم الروح بعد أن كان فى الماضى مجرد عقيدة فلسفية .

ولعل أوضح مثال لهذا الإلهام الراقى فى بلدنا هو القصائد الرائعة التى ترد فى تدفق من روح شاعر العروبة العظيم أمير الشعراء أحمد شوقى

(١٨٧٠ - ١٩٣٢) . والتى يمليها بغير ماتوقف منذ أكثر من عشرين سنة على وسيطة مصرية فاضلة قرينة نطاسى بارع وهى السيدة حرم الدكتور سلامة روفائيل سعد .

وهذه السيدة الفاضلة ليست أديبة ولاشاعرة ، ولم تنظم فى حياتها بيتاً واحداً من الشعر (فى غير حالتها الوساطية) . ولم يخطر ببالها يوما أنها ستكتب شعراً ، ولم تتح لها ظروفها سوى الحصول على الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩١٤ (نظام إنجليزى)

وقد بدأت الوسيطة حياتها الوساطية كمعالجة روحية حوالى سنة ١٩٤٥ ، وبعد ذلك ببضع سنوات أخذت تظهر عليها موهبة الكتابة عن طريق الجلاء السمعى من روح شوقى الذى أخذ يملى عليها قصائده الفياضة كلما عن له ذلك . وهو وحده الذى يختار الظروف والمناسبات ، فهو ليس آلة فى يدها ، بل هى عبارة عن جهاز آدمى راق فى يد مجموعة من الأرواح المرشدة الراقية تحرس الجلسة عندما يكون شوقى واقفاً بالقرب منها ومنهم يملى الشعر كلمة فكلمة .

والشعر الذى جاء عن روح شوقى هو نفس الشعر الذى ألفناه منه خلال حياته الأرضية ، وله نفس الطابع والأسلوب واللغة والبناء الفنى ، ونفس الشاعرية والطريقة[1] .

وقصائده التى أملاها مما نشرت فى مجلة (عالم الروح) التى كان

---

(١) عن كتاب « الإنسان روح لا جسد » جزء أول ص ٥٢٥ و٥٢٦ .

يصدرها المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ، وفي كتاب « الإنسان روح لاجسد » للدكتور رؤوف عبيد . وذلك كله يمكن أن يتجمع منه ديوان من الشعر كبير . وهذا عدا إحدى الروايات التي أملاها من العالم الآخر، والتي جاءت في مستوى رواياته الشعرية التي طبعت له إن لم تكن أعلا منها مستوى . وعدا الحكمة والفلسفة التي أرسلها في رباعيات رائعة .

ونكتفي هنا بأن نورد بعض مقتطفات من شعره حتى تكون تحت بصر القارئ الكريم كعينة يضاهيها بشعره الذي نظمه في حياته .

ففي قصيدة عنوانها « إلى المتشككين » . . وهي مكونة من ٨٧ بيتاً يقول :

فُضّت رموز الغيب من أحقابه (١) والفتح أزهر من عنان قبابه (٢)
وانساب في العلياء ومضي بالنهى (٣) يستخلص المطموس (٤) من حجابه
وانقاد نبع الروح صوب منادم فلك الروابض في قصيّ (٥) شعابه
والشائق (٦) المرموق في أوج الذرى أزكى حنين الكون في أعجابه (٧)
والروح من روض الخلود سلافه يجلو الظما ما كان من تسكابه

---

(١) الأحقاب : الدهور .
(٢) عنان قبابه : يقصد بها السماء .
(٣) النهى : العقول .
(٤) المطموس : الذى امحى .
(٥) القصى : المكان البعيد .
(٦) الشائق المرموق : هو عالم الروح .
(٧) عجائبه .

وغداً يهز العالمين يقينه جهراً لصد معارض ومجابه

* * *

أقطاب علم الروح فيض بحوثكم يطوى المضلل فى فلول عبابه
والروح كم أعيا الحكيم كمينه حتى بدا كمغلب (١) بعذابه
كم رعدة هزت كيان مباحث ورمته بالإعياء فى تجوابه
والطرق (٢) دوماً للبحوث دعامة تحيي رميم العمق من إجدابه
موج الأثير، أخى، بلوت محيطه (٣) وألفت ما أهداك فى أعقابه

* * *

وفى قصيدة عنوانها : « رسالة إلى ولدى على » يقول :

ياابن الأمير (٤) فداك حسىّ ما أنا فى المتأى أو فى التراب فقدته
ماكنت يوما للزوال فريسة « شوقى» سما للخلد مذ ودعته
لاتحسبنّ بحق حبك أننى فرد طفيف قد مضى وسلوته
كلا علىُّ أنت أدرى من أنا أيقنت حزنى فى الضنا وبلوته
ماكان رأيى أن أطأطئ هامتى فانصاع دهرى صاغراً وشهدته
يارب دهر للمكارم عشته فعجبت مما كنته ونظرته
أنت المقدّر لا سواك شجاعتى ما كان منى فى الحمى أكبرته

---

(١) المغلب : المغلوب مراراً .
(٢) الطرق : التكهن .
(٣) يقصد بالمعنى قبول الإنسان اختراع الراديو .
(٤) يشير إلى لقبه « أمير الشعراء » .

الليل عندى والنهار رهينة كم هان سهدى إذ أراك عرفته
أقضى اللبانة(١) من مآرب حجتى نصر اليراع ، وما جنيت حفظته
ما كنت أرضى بالمديح تملقاً سهماً رميت بمن أراك خشيته
والليث يزأر من صلابة خصمه فخر المكانة إن هوى وصرعته

* * *

ومن قصيدة له « فى عيد الأم » تبلغ أبياتها ٩١ بيتاً يقول :
أقدم فتيهك فى الزمان مخلدُ وسناء فجرك رائد يتوقد(٢)
مازادك الرغد(٣) الوليد تشبباً(٤) فعريق مجدك بالمديح منضد(٥)
قلدت من قدم جليل مهابة وبفطرة(٦) الرضوان(٧) سمحاً تلبد(٨)
عاصرت جرداء(٩) الهيولى(١٠) أينعت فيك الأمومة والقرائن شهد(١١)

* * *

(١) اللبانة : الحاجة .
(٢) يتوقد : يتلألأ .
(٣) الرغد : طيب العيش .
(٤) التشبب : النسيب والمديح .
(٥) منضد : منسق بعضه إلى بعض .
(٦) الفطرة : الطبع الأول الذى يولد به الإنسان .
(٧) عكس السخط .
(٨) أى تلصق فى الأرض .
(٩) الأرض القاحلة لا نبات فيها .
(١٠) المادة الأولى .
(١١) شهود .

أوليس يخضع للخطى ووئيدها روض الجنان نضيرها وممهد؟
سبحان من جعل الرياض بروعها تجثو لمن تهب الكيان وتسجد
ياروض مالك للظباء مطأطئاً هاماً يجلله الجمان (١) وعسجد (٢)

* * *

ثم هاهى قصيدة رائعة له يقدم بها كتاب « الإنسان روح لا جسد » جاءت فى ١٦٠ بيتا نقتطف منها الأبيات الآتية :

« فالمرء روح شف لاجسد» يُرى منذ استقر ببطن أم يُدْعَمُ (٣)
والروح يُلقى فى الجنين مشيئة من خالق الأكوان وهو ينظم
والروح أصل للتواجد خالد مَسراه (٤) علم شامل، لاطلسم (٥)
من ناجز (٦) أو مقبل فى عمقه علم العلوم بجدة لا تَهرم (٧)
والمستنير بحكمة وثقافة يرضى التعارف بالخلود ويكرم
ويرى السعادة أن يزود من عَل فهم الحقائق ، والسماء تعلّم
وإلى الرغائب يستجيب ذو النهى فالعلم فى دنيا الخلود مُتمم
ولذاك قامت فى الخلود منابر تدلى بأقدس ما ينير ويُفهم

---

(١) اللؤلؤ والدر :
(٢) الذهب .
(٣) يسند لئلا يميل .
(٤) مروره المستمر
(٥) السحر .
(٦) حاضر .
(٧) أى أن علم الروح هو علم العلوم وهو متجدد لا يهرم بحثه .

إلى أن يقول :

فالحب بين الخالدين رسالة تهدى الرفاق لكى يفيق النوّم
وأنا أحذر من عنيد مدّع يبدى الظنون إزاء ما أتكلم
وأقول بالإشفاق لست مواربا(١) عبر الأثير لمن عسى يتفهم
إن الخلود تكشفت أسراره تهب الشفاء أو العزاء لمن رُموا(٢)
وتناشد الأحياء أن يتبصروا فى يقظة الأفهام كى لا يندموا
فإلامَ يختال المكابرُ لاهفا ليردّ مَن يهوى الخلود ويصدم؟

إلى أن يقول :

فالله إذ خلق الجمال العالم يبقى لحدّ حيث طاب المغنم
مترفقاً يُبقى نصيبا فائقاً فى العالم الأسمى لروح تُرحم
فتراه مدّا للصميم المرتجى وهو النعيم الخالد والبلسم

وفيما يلى نماذج قليلة من رباعياته الغزيرة التى بعث بها من عالم الخلود :

يا حبيب الروح ما رو حى بطيات الظلام
صفوها الرقراق يغزو مستحثات السلام
وهى فى الأفلاك تسرى أو بأسراب الغمام
ماغفاة الأرض مثلى إنّ روحى لاتنام

---

(١) مخادعاً .
(٢) لمن رماهم الدهر بالحزن والمرض .

كلما طير تغنّى في أفانين الورود
أوبدت تختال شمس في مجالات الوجود
أو شدا الشادي بحق في صلاة أو سجود
إنني في الحي أغدو ضامنا حفظ العهود

يا رَعى الله ربوعاً في حياتي باسمات
كلما استعرضت فيها من ضحى أوأمسيات
خطت الروح المعلى من نظيم العاطرات
عبقها كالمسك يسمو للسهى والساريات

إيه سقيا للندى يا منهل الأم الرءوم
دافق الأغداق صر فا . كم وددنا أن يدوم
عشت فينا خير ساق من عصارات الكروم
ماسلوت العهد أشهـ ـدتُ الثريا والنجوم

وقفتي يانيل أشدو الحق نوراً للغيور
منة من فتح من أهـ ـدى السموات البدور
جئتها من في البرايا حجة العلم الوقور
ليس بالألفاظ تهدى بل بمضمون السطور

أنصتي مصر لنجوى من قصيّ في الشتات
علّ من نسج القوافي تستعيدي الخاليات

فالقريض اليوم دين لاحق للأوليات
واغفرى سهواً وتِه صبراً كعفو الأمهات
مصر كالزهراء فى أوج تهادت بالبهاء
سنة الأفضال أوفت من أزاهير الضياء
يوم كان الوحى يترى مثل صفو الأتقياء
ملهماً قلبى ليزكى من تغاريد الرجاء
فاذكرينى مثلما آليت أن أرعى الوداد
أنصفى بالله « شوقى » واقصرى شق البعاد
وارتضينى فى عداد الحىّ لماح العتاد
مادعا يوما لدرء الخطب داع للجهاد

• • •

ولقد قام الدكتور رؤوف عبيد بعرض قصائد شوقى التى أرسلها من العالم الآخر ، على عدد كبير من شعراء وعلماء أجلاء ممن يوثق برأيهم ويؤخذ بقولهم ، فشهدوا جميعاً — بعد مضاهاة هادئة متروى فيها استغرقت شهوراً كثيرة وشملت الآلاف من الأبيات المملاة — بأن الشعر يحوى واضحة خصائص شعر شوقى ، وفيه روحه وشاعريته وموسيقاه وأوزانه ومعانيه وتفكيره وقوافيه . وكان من هؤلاء الشهود الثقات والعلماء المدققين الأستاذ الكبير محمد عزيز أباظة عضو المجمع اللغوى وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآدب والعلوم الاجتماعية ، والأستاذ الدكتور أحمد الشايب عميد «دار للعلوم» سابقا وأستاذ الأدب العربى ووكيل

كلية الآداب، والشاعر المبدع الأستاذ أحمد عبد المجيد فريد السفير السابق، والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، والأستاذ الدكتور بدوى أحمد طبانة رئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي حالياً بكلية «دار العلوم»، والأستاذ المحترم خليل جرجس خليل الشاعر المنطلق وعضو لجنة الشعر «بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية»، والشاعر الكبير الأستاذ عادل الغضبان مدير النشر بدار المعارف وعضو لجنة الشعر «بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية»، وغيرهم كثيرون.

ومما ورد فى تقرير الأديب الشاعر الأستاذ عادل الغضبان «وأما شعر شوقى فأنا مع إخوانى الأدباء والشعراء الذين وافوك بآرائهم فى أن هذا الشعر يحوى معظم خصائص شوقى ولوازمه، فإن نحن تأملنا فى بعض هذه القصائد... لم نتردد فى الحكم بأنها من شعر شوقى لما اشتملت عليه من قدرة، وبلاغة، وعمق، وسلاسة، وشاعرية انحدرت من مصدر الإلهام...» على أننا إذا امعنا النظر فى بعضها الآخر وجدنا فيها مع علوّ النفس أخطاء وجوازات غير مستحبة تتنزه عنها شعر شوقى فى دنيا البشر كما يتنزه عنها شعر الفحول من أمثاله فهل «أحل» لنفسه فى عالم الروح ما حرّمه عليها فى مناكب الأرض؟.

ثم يقول «وبعد فكيفما كان الأمر فهذه قصائد تسير وشعر شوقى على سنن واحد، فإن كانت من نظم سواه فإنها من نظم شاعر يحاكيه موهبة فذة، وعمق تفكير، وبلاغة تعبير، وجمال تصوير فما

أجدره عندئذ أن ينسبها إلى نفسه على مابها من هنوات لاتقدح فى شاعريته سفيكون فى طليعة الشعراء فلنتزل فلنترك إذن على حكم العلم الروحى ففيه كل الغناء . . . . »

ويجدر بنا أن نورد أيضا نص التقرير الذى دوّنه بهذا الخصوص الأستاذ المحترم على الجندى عميد دار العلوم بجامعة القاهرة سابقا ، وفيه يقول :—

« قرأت الأشعار التى تمليها روح شوقى — رحمه الله — على الوسيطة قرينة الدكتور سلامة سعد ، وأقرر بإزائها مايأتى :

أولا : كثير من الألفاظ التى جاءت فى ثنايا القصائد المملاة هى ألفاظ شوقى فى قصائده المأثورة ، وهى ألفاظ تنفح بالترف والنعيم .

ثانيا : البحر المفضل لدى شوقى كان البحر الكامل ، وهو كذلك بحره المفضل بعد انتقاله.

ثالثا : كثرة الحكم والأمثال فى شعره الأصلى والمملى .

رابعا : استعمال أساليب الإنشاء بكثرة كالاستفهام والتعجب ، وخصوصا فعل الأمر ، وهى من لوازم شوقى .

خامساً : كثرة الألفاظ اللغوية المعجمية التى كان يستعملها ويشيع فيها الحياة ، وهى من خصائصه .

سادساً : مطالعه الباهرة المصرّعة .

سابعاً : أسلوبه الفخم الذى عرف به ، والذى يساوقه إلى نهاية

القصيدة إلاّ قليلا فى أكثر شعره .

ثامنا : تهافته فى بعض الأبيات مما أخذ عليه حيا ، وهو من سمات الطبع والبعد عن التكلف .

تاسعاً : حبه للسلام والتصافى وكراهة الحرب والخصام والعنف ، وهو متجل فى شعره الملى.

عاشراً : صحة العقيدة وتمجيده للخالق الأعلى ودعوته إلى مكارم الأخلاق ، والتمسك بالفضائل ، وهذا شيء مأثور عنه رحمه الله .

والذى لاشك فيه أنه لايمكن لأى شاعر مهما علا كعبه — فضلا عن السيدة الوسيطة المحدودة الثقافة — أن يقلد شوقى بهذا الشعر أو يأتى بما يشبهه . وليس هناك مايدعو سيدة جليلة إلى تحمل هذا العناء ، وكان الأفضل مثلا أن تنسبه إلى نفسها فإنها تكسب بذلك شرفاً عظيما ، وتكون أشعر شاعرة فى هذه الأمة » .

أما الأستاذ الجليل أحمد عبد المجيد فريد السفير السابق والشاعر المطبوع — وهو من أبرز أبناء مدرسة شوقى ومن أكثرهم اطلاعاً على شعره ومعرفة بخصائصه — فقد قام بدراسة ممعنة لهذه القصائد المنسوبة إلى روح شوقى وكتب فى شأنها التقرير الآتى نصه :

« كلما أمعنت النظر وأعملت الفكر فيما أملته روح شوقى الشاعر من نظم جزل ، سلس ، صاف ، ينبع من مورد عذب رقراق على السيدة الفاضلة الوسيطة التى شرح قصتها الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه القيم

« الإنسان روح لا جسد » كلما ازددت يقيناً بأن الله لومدّ فى عمر شوقى لنطق بهذا الشعر فى حياته ، وهو ما انفعلت به نفسه وروحه بعد مفارقة هذه الدنيا . بل إننى ازداد ثقة ويقيناً بأن هذا الشعر إنما هو امتداد لشاعريته التى لم يكن من المستطاع أن تخبو أو يخفت لها صوت طالما أن الله يريد لها أن تبقى فى صورة إملاء من روحه على وسيطة لا يداخل المرء أى شك فى أنها تتلقى من الروح ماتمليه من شعروهى بدورها تنقل ماتتلقاه فى صدق وأمانة .

ذلك أن ما عالجته روح شوقى من الشعر قد مسّ أنماطاً من فنون الشعرلها نفس الطابع ، وذات الأسلوب ، واللغة ، والبناء الفنى السامق . بل إن الديباجة وموسيقى الشعر ، وإيقاع الوزن ، وغزارة القوافى لمما يقطع بأن هذا هوشعر شوقى الذى كان يزاوله فى حياته . كما أن نَفَسه الطويل فى النظم وهو ماتميز به بين شعراء عصره ومن سبقوه من الشعراء لدليل قائم بذاته على أن روح شوقى تملى على السيدة الوسيطة ما ورد من قصائد تناولت مناسبات قائمة رأت روحه أن تشارك فيها مثلما كان العهد به فى حال حياته .

ولست أعلم أن شاعراً قبل شوقى أوبعده قد أجاد فى حال الاستفاضة والتدفق دون ما إسفاف أوترخص فى قصائد جاوزت أبياتها المئات وتناولت مختلف الموضوعات مثلما فعل شوقى فى حياته وبعدها .

ومن عجيب شعر شوقى أنه لا يُقلد ، لأنه كالجوهر الفريد النادر . بل إن تمكنه من اللغة العربية وطول باعة فى القريض والوزن والعروض ،

وهو الذى طلب العلم ودرس القانون فى باريس ، كان فى حياته موضع إعجاز وعجب ممن كانوا يعلمون من معاصريه عن نشأته المترفة التى تتأذى من الجلد وطول البحث .

ولعلى أقصر القول فى هذا الشأن على أمر تكشف لى وأنا أقرأ شعر روح شوقى وهو اهتمامه البالغ بمن نقد شعره بعد مماته ، وهو أمر كبير الدلالة ، لأن شوقى كان يتأذى غاية الأذى ، حتى ليعنف غاية العنف ويغضب غاية الغضب ، وهو الوديع الحيى من كل من كان يتصدى لنقد شعره هادماً لابناء ، فلما انتقل إلى الدار الآخرة لزمته هذه الخلة ونظمت فيها روحه ما نظمت[١] . . . .

القاهرة فى ١٩٦٩/٩/٢٠ أحمد عبد المجيد

(١) وهذا ثانى تقرير للأستاذ الكبير أحمد عبد المجيد فى نفس هذا الموضوع ، وفى نفس هذا الاتجاه .

الفصل الحادى عشر

سيلفر بيرش وحكمته

إن السيد سيلفر بيرش لكى يختار وسيطه (موريس باربانيل) لهذا الأمر الخطير وجهه إلى مطالعات واسعة فى الأديان والفلسفات القديمة والحديثة ، فلم يجد فيها غناءه وسكينته ، وطلقها واعتبر نفسه ملحداً لا يدين بفكر ولا يطمئن لدين. وهنا كانت ذروة اليأس من المعرفة القديمة التى تقوم على البحث النظرى دون مشهود أو محسوس يسكن إليه القلب .

وفى يوم من الأيام دعته مجموعة من أصدقائه إلى أن يحضر معهم جلسة روحية ، فذهب إليها متكاسلاً غير مصدق لما يقولون ، ولكنه نزل على رغبتهم لمجرد التلهى وقتل الوقت ليس إلاّ . وشدّ ما كانت دهشته بالغة حينما أيقظوه من غيبوبة ، بعد جلسة عجيبة كان هو نفسه الوسيط الذى أدلى فيها ببعض الكلمات العجيبة ، وهو مصر على أنه لم يصدر عنه شيء ، وخرج من الجلسة وهو مصرّ على رفض رجائهم أن يعود إليهم لعقد جلسة أخرى.

وكم كان عجيبا ــ كما حكى هو نفسه بعد ذلك ــ أن يجد نفسه مسوقاً بدون إرادته إلى المكان والموعد المحدد لعقد الجلسة . وتم الجلسة الثانية ويحدث نفس الأمر ، ويدلى بحكمة فوق كل ما قرأ من الفلسفات تقنع القلب والعقل معاً . وبعد الجلسة عاد لوعيه ليؤكد أنه ليس مصدر هذه الحكمة .

وأخيراً نزل على رجائهم الشديد بأن يعود إليهم ثالثة ورابعة ، بعدما اشترط عليهم ألا يكتموا عنه حديثا أو شيئا يحدث فى الجلسة ، وأنه حر فى نشر وإذاعة مايشاء مما يصدر عنه لا بحسب رغبتهم هم .

ثم كان أن أصبح الوسيط المختار لأرقى شخصية روحية عقد لها لواء الروحية فى العصر الحاضر . وفى ذلك يقول سيلفر بيرش : « لقد مررت بوسيطى على الفلسفات والأديان حتى إذا ماجئته بالحكمة الجديدة اقتنع بصدقها ، وبحاجة العالم اليوم إليها . فنحن لانقارن الروحية بأى دين من الأديان لأنها المصدر الذى يقف من وراء الأديان والفكر جميعا ، لأنها نفس قانون الوجود والحياة » .

ثم هو يكشف عن الجهاد الطويل له مع وسيطه قبل أن يتمكن من تبليغ الرسالة من العوالم الروحية إلى عالم النفوس البشرية عن طريق تفوهات الغيبوبة يقول قائلا :

« بحثت فى تقاريرنا ، ووجدت وسيطى وشاهدت من اللحظة التى بدت فيها التهيؤات له ، ومن اللحظة التى بدأت فيها النفس فى إظهار نفسها ولو لغمضة قصيرة ، أنى جعلت تأثيرى يثمر . وعندئذ بدأت فكانت هذه الصحبة التى استمرت كل هذه السنوات . فكان أول وسيط لى ساعدته على صياغة الروح والعقل الصغير ، وفى كل طور من تلك الحياة ، كنت أراقب كل تجاريبه ، فتعلمت كيف أكون معه فى ارتباط قريب ، وعودت نفسى طوال أيام الصبوة على كل العمليات العقلية ، على كل العادات الفيزيقية . دربت جهازى من كل جانب ، عقلا وروحاً

وجسماً فيزيقياً . ثم كان عليّ أن أوجه خطاه نحو فهم هذه الحقائق الروحية ، فقدته أولاً ليدرس الديانات الكثيرة فى عالمكم المادى ، حتى ثار عقله وبدأ يكون ملحداً كما يسميه عالمكم . ولما لعب ذلك دوره فى الرقى العقلى ، أصبح مستعداً لى لكى أبدأ عملى من خلال شفتيه . قدته لأول اجتماع له ، ساعدته على حضور أول دائرة له . وهناك بواسطة القدرة الموجودة عملت أول اتصال. ربما كان مهوشاً وتافها ولكنه من وجهة نظرى كان مهماً جداً . ونطقت فى عالم المادة خلال مخلوق آخر بأول لفظ يصدر عنى . ومنذ ذلك اليوم تعلمت كيف أحصل على هيمنة أحسن ثم أحسن حتى أنكم لترون النتيجة الآن . وقد بذلت جهداً كثيراً جداً كما أتمكن من تسجيل كل أفكارى ، وأن أستبعد من جميع الوجوه ما فى داخل شخصية الوسيط حتى يبعث بى بينكم معلماً ورائداً » . .

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقول : إن للسيد سلفر بيرش مريدية الكثيرين وهو قد أدلى بأحاديث حكمته التى نشرها هانن سوافر نقيب الصحفيين بلندن فى مجلاته وجرائده ونشرت فى كتب خاصة كثيرة بعديد من اللغات.

ومما قاله هانن سوافر فى مقدمة كتابه « تعاليم سلفر بيرش» مايلى :

« تتحدث الكنائس عن عيسى الناصرى الذى تعرف عنه القليل والذى ليس لديها برهان على وجوده. ويتحدث سلفر بيرش كثيراً عن الناصرى كما يسميه هو... ولما كان سيلفر برش قد برهن بعد مصاحبته لناعدة سنين على أنه لايكذب ، فقد علمنا أن عيسى العهد الجديد ، على حد قوله ، ما زال يعمل ، ما زال مشغولاً فى تلك الرسالة الإلهية التى جاءت به يوماً إلى

الأرض وعلى هذا فإن كلماته « ها أنا معكم دائما حتى انقضاء الدهر » ، يكون لهامعنى بالنسبة لنا لا يمكن للكنيسة أن تفسره .

وفلسفة سيلفر بيرش كما استفهمونها بسهولة هى فلسفة إنسان معتقد بالله . . إنسان يؤكد أن الله موجود فى الطبيعة نفسها ، وأن هناك قانونا لا يتغير يتحكم فى كل شىء ، وأن الله هو القانون .

يقول سيلفربيرش « أنتم فى الروح الأعظم والروح الأعظم فيكم » وعلى هذا نحن نعلم أن فينا جميعا ومضة ألوهية كامنة ، وأننا جزء من الدستور الإنشائى العظيم الذى هو كل شىء . ولا يقف سيلفر بيرش عند فلسفة عديمة التطبيق . إنه دائما يلقن الدرس بأننا موجودون هنا لأجل أن نؤدى مهمة . ويجمع الدين فى كلمة واحدة وهى « الخدمة » . ويجاهد ليعلمنا أن علينا فى هذا العالم مهما كنا آلات خرقاء أن نجعل للحرب نهاية ، أن نمحو الفقر ، ونستعجل الزمن الذى ينتشر فيه كرم الله بكل سخاء بين كل سكان المعمورة .

يقول سيلفربيرش « إن إخلاصنا ليس لعقيدة ، ليس لكتاب ، ليس لمذهب ، ولكن لروح الحياة الأعظم ولقوانينه الطبيعية الخالدة » .

وأثناء سنى جلساتى مع سيلفر برش لم أعرف عنه أبداً أنه قد نسى أى شىء ، ولو أننا نحن ننسى . ولم يحد أبداً بأى لفظ عن رسالته التى اختارها لنفسه ليعلم أطفال البشرية طريقة للحياة أبسط وأكثر نفعاً » .

* * *

ولقد سجلت إحدى الدوائر الروحية حديثاً له عرض عليه هنا فى

مصر فأقره ، كما وافق على ترجمته التى ثبتناها هنا وهذه نصها :

« إنى صوت منبعث من السماء ، ينادى أهل الأرض ، أن آمنوا بالله ، ولا يشغلكم البحث عن اسمى الحقيقى ، وعن كيف كان حالى عندما كنت بالأرض ، بل اهتموا بما أحمله إليكم من تعاليم ، تضىء لكم سواء السبيل وتهديكم الصراط المستقيم.

إنى أحمل رسالة هداية من السماء ، أعد خطواتها بدقة عباد مخلصون لله عز وجل ، تجمعوا فى ملكوته الأعلى ، متخذين للرسالة الروحية وسيلة لهداية أهل الأرض.

إننى أحمل إليكم رسالتهم هذه ، مستخدماً الجسم الأثيرى لذلك الرجل الهندى الأحمر ، الذى كثيراً مارأيتموه فى جلساتكم ، والذى اتخذ لفظ « سيلفربيرش » اسماً رمزياً له .

دعوا الأسماء والألقاب جانباً ، وتعالوا ننظر بعين المستقبل إلى ذلك العالم الذى نسعى إلى إنشائه ، على أطلال عالمكم المادى المنهار ، تعالوا نتفهم القوانين التى ستكون الأساس الراسخ لصرح العالم الجديد . . تعالوا وسيروا فى هذا الركب الروحى الرشيد ، واحملوا مشاعل العرفان إلى غيركم من أهل الأرض ، ولن تعيقكم هذه العقبات التى تقابلكم ، ولن تؤخركم سخرية أولئك الجهلاء المعارضين للرسالة الروحية ، فالله غالب على أمره ، ولو كره الكافرون .

إننى لست مرشداً لكم فقط ، بل أنا صديق حميم لكم جميعاً ، أحمل لكم فى قلبى حباً لاحدود له ، وأكافح دائما لمساعدتكم بالتغلب

على صعاب الحياة القاسية ، فإذا ماغلبتكم أمددتكم بالقوة الروحية التى تمكنكم من تحمل ماقدر عليكم أن تتحملوه من آلامها .

تفكروا ياأبنائى فى خلق السموات والأرض ، وحاولوا أن ترنم نفوسكم مع أنشودة الحق التى ينشدها الوجود أجمع ، مسبحاً بحمد الله وقدرته سبحانه وتعالى .

حاولوا أن تروا دائما وجه الله ظاهراً فى كل مايحيط بكم ، من مظاهر الطبيعة ، فى رقة النسيم ، وشدة الرياح ، فى هدوء الجداول ، وهدير الأنهار فى تغريد الطيور ، وزئير السباع ، إنها جميعها لغة الحق ، التى تحدثكم بها الطبيعة ، لعلكم تهتدون.

تذكروا دائما أنكم فى الله ، وأن الله فيكم ، وأنكم متقلبون فى رحمته الواسعة ، ومحبته اللانهائية ، وأنكم منه وأنكم إليه ترجعون » .

هذا ماأفاض به الروح المرشد سيلفر بيرش فى مناسبات متعددة ، ومالايزال يردده ، فى كل مناسبة تقتضيه بيانا عن شخصيته وأمر رسالته .

سئل مرة : «ماهو الإصلاح العاجل الذى يحتاج إليه العالم ؟ » فأجاب « إنه لسؤال صعب جدا . لأن عالمكم مملوء بالظلم الصارخ . هناك مؤامرات كثيرة تريد أن تكتسح مدنيتكم ، وعسير أن تعرف من أين يبدأ الإصلاح . وعلى كل فأنا أرى أن الإصلاح العاجل يجب أن يتناول مشكلة الفقر والفاقة المنتشرة بين آلاف الآلاف . يجب أن تعالج الفروق

---

(١) عن كتاب «رسالة التوحيد والتحديد عن الإطلاق والتقييد» ص٤٥ و ٤٦ .

الكبيرة بين الأثرياء والفقراء . كيف تطلبون من النفوس أن تعثر على حقيقتها وأجسامها الفيزيقية ليست معبداً مناسباً لكى تحل فيه روح الله ؟ إننا لسنا عمياناً عن المطالب الأولية لأنفسكم الفيزيقية . والغرض من رسالتنا هو أن نهيئ لكم سبل المعيشة التى تساعد الجسم والنفس والعقل على أن تجد الحقائق الضرورية لوجودها فى حالة من السعادة والبحبوحة (١) » .

وقد سئل مرات عديدة عمن يكون هو « سيلفر بيرش» فأجاب بقوله :

« كثير من الناس من يحب أو يريد أن يعرف من هو سيلفر بيرش . . قولوا لهم إنى عبد من عباد الله . . أى روح من روح . . أى قبس من نور الله ». .

ولقد أجاب فى لندن بإجابات ماتزال العقول فى دهشة وحيرة فى إدراكها . منها قوله :

« أنا صوت يدوى فى البرية ، أنا خادم للروح الأعظم ، ماذا يهم من أكون أنا ، أحكموا على بما أكافح من أجله ، إذا كانت كلماتى القليلة ، واجتهادى وعزيمتى ، ورسالتى إليكم وحديثى معكم وفعلى بينكم ، يجلب الراحة أو النور إلى إنسان يكافح فى الظلام ، فإنى إذن لسعيد .

ما أنا سوى خادم متواضع ، ترجمان للذين أرسلونى ، لكى أفسر القوانين المنسية ، التى يجب إحياؤها كجزء من العالم الجديد ، الذى يبزغ فجره تدريجياً .

فكروا فىّ دائما على أنى بوق ، إنى أمثل صوت الروح الذى يحاول

---

(١) عن كتاب «أرواح مرسلة » ترجمة الدكتور راضى ص ٥٥ .

أن يجعل وجوده محسوساً فى عالمكم . والآخذ فى النجاح بخطى

وأنا لاأعنى بهذا أنى عديم الشخصية بالنسبة لكم، لأن لى شخصية ، ولكن التعاون فى حياتنا ، وإنكار الذات هو القانون .

إنى أحاول أن أظهر نفسى كصديقكم، وحارسكم ، ومرشد وأريد كم أن تشعروا بقربى منكم ، وإنه مهما كان لى من صفات لاتمنعنى من متعة الاتصال الشخصى بكم .

تذكروا أنى لست معلماً يحاول أن يعلمكم الحقائق الأبد ويكشف عن قوة الروح وكفى ، فأنا أيضاً صديق لكل واحد متى طلبنى ، لأنى أحبكم جميعاً حباً جماً ، وأكافح دائماً لمساعدتكم مالدى من قوة

إن دورى هو دور سفير يبلغ الرسالة ، ولقد جاهدت لأكون فى إيصال ماحملته وما أعطى لى ، على أساس الجهاز الذى بالقدرة التى اكتسبتها، وإنى لاأريد إلا أن أكون دائما فى الخدمة (١)

وأما تعاليم سيلفربيرش ، وأما حكمته .. فكثيرة جداً ، أكثر أن يضمها جميعاً كتاب واحد . فهى إن جمعت تملأ مجلدات ع كبيرة . ولايسعنا هنا إلا أن نكتفى بهذا القدر .

نسأل الله أن يهبنا من لدنه رحمة ويهيىء لنا من أمرنا رشداً .

(١) عن كتاب « رسالة التوحيد والتعديد » ص ٤٨ و ٤٩

دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠

الكتاب القادم

اقرأ

مواقف إسلامية

الدكتور عبد العزيز كامل

تقدم

من «مكتبة الدراسات الفلسفية»

- تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط للأستاذ يوسف كرم
- تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم
- الطبيعة وما بعد الطبيعة للأستاذ يوسف كرم
- أصول الرياضيات (٤ أجزاء) لبرتراند رسل

  ترجمة الدكتورين محمد مرسى أحمد وأحمد فؤاد الأهوانى
- القرآن والفلسفة للدكتور محمد يوسف موسى
- الصلة بين الدين والفلسفة عند ابن رشد للدكتور محى
- المذهب فى فلسفة برجسون للدكتور مر
- الإدراك الحسى عند ابن سينا للدكتور محم
- من الكائن إلى الشخص للدكتور محم
- بين برجسون وسارتر – أزمة الحرية للأستاذ م
- الفرد فى فلسفة شوبنهور للأستاذ فؤا
- الغير فى فلسفة سارتر للأستاذ فؤا
- المنهج الجدلى عند هيجل للأستاذ إما

